٣٦٠ فائدة على مدار العام الهجري

فوائد شهر شوال



كتبه الفقير إلى عفو ربه

أ. د. خالد بن عبد الغفار آل عبد الرحمن

الجزء العاشر

الطبعة الأولى

١٤٤٥هـ



ح **خالد عبد الغفار عبد الله آل عبد الرحمن ، ١٤٤٥هـ**

عبد الرحمن ، أ.د. خالد عبد الغفارعبد الله
فوائد شهر شوال الجزء العاشر من سلسلة كتاب ٣٦٠ فائدة علي مدار العام الهجري./ أ.د. خالد عبد الغفار عبد الله آل عبد الرحمن
ط ١.- الرياض ، ١٤٤٥هـ
١٢٨ ص ! ١٧ x ٢٤ سم.- (٣٦٠ فائدة على مدار العام الهجري)

رقم الإيداع : ١٩٩٨٢ / ١٤٤٥
ردمك :٥-٢-٣٠٢-٠٥-٦٠٣-٩٧٨



بسم الله الرحمن الرحيم





إهــداء

إلى زوجتي وأبنائي الأوفياء الذين كان لهم الفضل بعد الله عز وجل في تشجيعي ودعمي المتواصل لإعداد هذه السلسلة من الفوائد التي تُحفّز المسلم والمسلمة للعمل الصالح واغتنام أيام العمر فيما ينفع ويرضي اللهَ عز وجل.





مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين. فبين يديك أخي القاري الكريم الجزء العاشر من كتاب " ٣٦٠ فائدة " على مدار العام الهجري، وهو كتاب يضم فوائد ودروسًا تُحفِّز المسلم والمسلمة على العمل الصالح واغتنام أيام العمر فيما يَنفع ويُرضي اللهَ عزَّ وجلَّ. تمَّ تقسيمها على أيام السنة الهجرية بحيث يستطيع القارئ أن يبدأ بالقراءة من تاريخ اليوم الذي عزم أن يقرأ الكتاب فيه، ويقطف من ثمرات وفوائد ذلك اليوم. وفي كل يوم يجد القارئ جملة من المقتطفات التي تدور حول موضوع واحد قد يكون له ارتباط بذلك اليوم أو الأيام أو الشهر تحديدًا وقد لا يكون. ولكن الموضوعات تُشكِّل في مجملها خلاصة الفوائد والخواطر والدروس التي تُعين المسلم على التجارة مع الله والعمل الصالح الذي يكون بإذن الله زادًا له في الدنيا ونجاة له في الآخرة برحمة الله ومِنَّته وفضله. وهذا الجزء مخصص لفوائد شهر شوال، أسأل الله أن يكون فيه النفع والفائدة وحجة لكاتبه وقارئه وكل من أعان على نشره وتوزيعه.

كتبه الفقير إلى عفو ربِّه

أ.د.خالد بن عبد الغفَّار آل عبد الرحمن
drkhalid63@gmail.com
الرياض

شهر شوال ١٤٤٥هـ



فهرس فوائد شهر شوال



غُرَّة شوَّال

واعبد ربَّك حتَّى يأتيَك اليقينُ

في هذه الآية الكريمة وهي قوله تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾(١)؛ دعوة صريحة من الله تعالى لعبده المؤمن؛ إلى ضرورة المداومة على العبادة، حتَّى يلقى ربَّه، وقد ضلَّت شرذمة منحرفة عن الشرع؛ حين فسَّرت اليقين بمعرفة الله تعالى؛ فأسقطت التكاليف عنها وعن أتباعها؛ إذا وصل أحدهم إلى درجة المعرفة الحقَّة بالله في زعمهم، لأنَّ العبادات عندهم وسائل تتحقَّق من خلالها معرفة الله، ولا شكَّ أنَّه لا حظَّ لهذه الفئة من الإسلام، وما هي عليه هو الكفر بعينه.

قال الشيخ السعدي- رحمه الله- في تفسيره لهذه الآية: اليقين هو الموت، والمعنى أي: استمرْ في جميع الأوقات على التقرُّب إلى الله بأنواع العبادات، فامتثلَ صلى الله عليه وسلم أمرَ ربِّه، فلم يزلْ دائبًا في العبادة، حتَّى أتاه اليقين من ربِّه صلى الله عليه وسلم تسليمًا كثيرًا(٢)؛ فاليقين في الآية هو الموت، والدليل على أنَّ اليقين هو الموت، ما رواه البخاري من حديث أم العلاء الأنصارية وكانت من المبايعات، وفيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أمَّا عثمان بن مظعون فقد جاءه اليقينُ من ربِّه، وإنِّي لأرجو له الخير، واللهِ ما أدري- وأنا رسولُ الله- ما يُفعَل بي"(٣)، وكان عمر بن عبد العزيز- رحمه الله- يقول: " ما رأيتُ يقينًا أشبهَ بالشكِّ من يقين الناس بالموت ثم لا يستعدُّون له، يعني كأنَّهم فيه شاكُّون"(٤).

وهذه الآية العظيمة تضع للمسلم خريطة طريق حياته، حيث تفيض علينا بالعديد من الفوائد التربوية التي يجب على المسلم أن يضعها نُصب عينيه، ويتمسَّك بها، ويعضَّ عليها بالنواجذ، حتَّى يلقى الله عزَّ

---

(١) الحجر: ٩٩.

(٢) تفسير السعدي (ص: ٤٣٥). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٩/ ٣٨) برقم (٧٠١٨) كتاب التعبير باب العين الجارية في المنام. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

(٤) ينظر: تفسير القرطبي (١٠/ ٦٤). الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.



وجلَّ، وهي فوائد تنير للمسلم طريق حياته في ظلمة مطبقة من تراكم هموم الدنيا ومغرياتها، وتَعصمه من الزلل والوقوع في منعطفات الطريق، وتقيه من الضياع في فيافي الحياة الموحشة المقفرة.

وإنَّ **أول هذه الفوائد** التربوية أنَّ للمسلم غاية واحدة واضحة وضوح الشمس في صفحة السماء، لا يرى سواها ولا يحيد عنها، وهذه الغاية قد حدَّدها لنا ربُّنا في الآية الكريمة بقوله: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ ﴾.

وقوله: ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾[١] قال أهل التفسير: أي خَلَقَهم لِأَمْرِهِم بعبادة الله وحده ونهيهم عن كل ما سواه، وبها- أعني العبادة- أرسل جميع الرسل، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾[٢].

ثانيًا: دقِّقْ معي في قول الله في الآية: ﴿رَبَّكَ ﴾، فهل لك ربٌّ سواه؟ هذه مشكلة الكثير من الناس الذين اتَّخذوا أربابًا من دون الله: ﴿ وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ﴾[٣].

ثالثًا: أن يلتزم المسلم بهذه الغاية طول حياته: ﴿حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾، فكلمة (حتَّى) تنمُّ عن مدى هذه العبادة.

رابعًا: لا يوجد عمل سوى العبادة تُغطِّي حياة المسلم كلَّها، وعليه فيجب أن تكون كلُّ حركات وسكنات المسلم بكل حياته مُحقِّقة لذلك: ﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[٤].

خامسًا: أنَّ عبادة المسلم تكون بالطريقة التي حدَّدها الله له في كتابه الكريم، وأرسل محمَّدًا صلى الله عليه وسلم مُطبِّقًا لها في الحياة قولًا وفعلًا وإقرارًا، هذا المنهج القويم: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾[٥]، هذه أكبر نعم الله تعالى على البشرية جميعًا؛ حيث أكمل تعالى لهم دينهم، فلا حلال إلَّا ما أحلَّه، ولا حرام إلَّا ما حرَّمه، ولا دين إلَّا ما شرعه.

سادسًا: أنَّ تدرُّج المسلم في مراتب اليقين قد يحتاج إلى مدى عمر الإنسان.

---

(١) الذاريات: ٥٦.

(٢) الأنبياء: ٢٥.

(٣) يوسف: ١٠٦.

(٤) الأنعام: ١٦٢.

(٥) المائدة: ٣.



ويُعرِّف العلماءُ اليقينَ بأنَّه: العلم الذي يوجد عنده بَرْدُ الثقة في الصدر[١]، وقيل: هو تصديق الشيء تصديقًا مُؤَكَّدًا بحيث لا يطفو على سطح الذهن أيُّ شكٍّ لمناقشته، ومصادر اليقين ثلاثة:

المصدر الأول: علمٌ ممَّن تثق بصدقه، وفي ذلك قوله تعالى: ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴾[٢].

المصدر الثاني: عينٌ ترى الحدث فتتيقَّنه، كما قال تعالى: ﴿ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴾[٣].

المصدر الثالث: هو حقيقة تدخل فيها، قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾[٤].

وانظر كيف سعى إبراهيم- عليه السلام- للسُّموِّ بدرجات يقينه، فسأل ربَّه: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[٥]، هنا وصل إبراهيم- عليه السلام- إلى مرتبة عين اليقين، ثم ارتقى يقينه إلى حقِّ اليقين عندما نجَّاه ربُّه من النار: ﴿ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾[٦]، وممَّا ينبغي أن يُعلَم أنَّ اليقين يقوى ويضعف، ويزداد وينقص، فهو درجات متفاوتة.

سابعًا: أنَّ تدرُّج المسلم في درجات اليقين لا يكون إلَّا بجهاد النفس وأشواقها، والحياة وأشواكها؛ ممَّا يستلزم معه الصبر: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[٧].

هذه النقاط المحدَّدة تُوضِّح لنا خريطة العمل التي يجب السير بها: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[٨].

---

(١) ينظر: تفسير ابن فورك (٣/ ٨٨).

(٢) التكاثر: ٥.

(٣) التكاثر: ٧.

(٤) الواقعة: ٩٥- ٩٦.

(٥) البقرة: ٢٦٠.

(٦) الأنبياء: ٦٨- ٦٩.

(٧) آل عمران: ١٤٢.

(٨) يوسف: ١٠٨.

ومن أهمِّ الدروس والثمرات المستفادة من قوله تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾[١]، أنَّه يجب على المسلم ألَّا يلتفت لما يقوله المستهزئون من المنافقين والمشركين بدين الله وشعائره التي أمر بها. بل يستمرُّ في التسبيح وفي تأدية العبادات والصلاة والسجود والصوم حتَّى يدركه الموت، والمسلم مُطالَب بالاستمرار في تأدية العبادات وطاعة الله عزَّ وجلَّ ما دام على قيد الحياة. حتَّى الأنبياء والرسل لم يستثنهم الله من القيام بالعبادات. كما تُبيِّن لنا تلك الآية أيضًا أنَّ اليقين لا يتحقَّق- لأي مخلوق كان، ومهما بلغ من العلم درجات- إلَّا عند موته.

الخلاصة: تدعونا الآية الكريمة إلى العبادة المستمرَّة، وذلك لإثبات القضية العظمى، وهي صدق العبد مع الله، وحبُّه لأمْر الله ونهيه، وقوَّة إيمانه بالرسالة التي أتى بها المصطفى صلى الله عليه وسلم ليُخرِج الناس من ظلمات الجهل إلى نور الإيمان، عند ذلك يأتي الكرم من أكرم الأكرمين لمثل هؤلاء الصادقين، ففي الحديث قال صلى الله عليه وسلم: "إذا أرادَ اللَّهُ بعبدٍ خيرًا استعملَهُ. فقيلَ: كيفَ يستعملُهُ يا رسولَ اللَّهِ؟ قالَ: يوفِّقُهُ لعملٍ صالحٍ قبلَ موتِه". رواه أحمد[٢].

---

(١) الحجر: ٩٩.

(٢) رواه أحمد في مسنده (١٩/ ٩٣) برقم (١٢٠٣٦). والترمذي في جامعه (٤/ ٤٥٠) برقم (٢١٤٢) أبواب القدر باب ما جاء أن الله كتب كتابا لأهل الجنة وأهل النار. والحديث صححه الألباني كما في صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ٣١١). مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م. سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م. صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتَبة المَعارف لِلنَشْرِ والتوزيْع، الرياض – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.



٢ شوَّال

ثم أتبعه ستًّا من شوَّال

شهر شوَّال هو الشهر العاشر من شهور السنة الهجرية، وهو أوَّل شهرٍ من أشهر الحج، وتُشرَع فيه عدَّة عبادات إلى جانب صيام ستَّة أيام منه، وقد شاء الله تعالى أن يكون لكل عملٍ من الأعمال الصالحة فضيلة وأجر؛ ليُقبِل العبد على تلك الأعمال، وقد رتَّب الله على أداء العبادات من صلاة، وصيام، وزكاة، وحج، وغيرها الكثير من الأجور؛ فمعرفة تلك الأُجور والفضائل سببٌ في إقبال المسلم عليها بشغف، فلا ينشغل عنها بشيء آخر، ويحفظ بها وقته، وينال بذلك ما وعده به ربُّه، قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾(١).

ويُعَدُّ فضْل صيام الستِّ من شوَّال بعد شهر رمضان الفضيل، فرصة مهمَّة لكسب الحسنات، بحيث يقف الصائم على أعتاب طاعة أخرى، بعد أن فرغ من صيام رمضان، ولقد أرشد رسول الله صلى الله عليه وسلم أُمَّته إلى فضْل صيام الستِّ من شوَّال، وحثَّهم بأسلوب يُرغِّب في صيام هذه الأيام، لأنَّ العديد من الفضائل تترتَّب عليه، فقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن أبي أيوب الأنصاري- رضي الله عنه- أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال:" مَن صامَ رَمَضانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِن شوَّال؛ كانَ كَصِيامِ الدَّهْرِ"(٢).

ويصحُّ صيامها متفرِّقة أو متتابِعةً؛ من أوَّل الشهر أو أوسطه أو آخره، ويقصد بقول النبي صلى الله عليه وسلم:" كان كصِيام الدّهر"؛ أي: أنَّ أَجر صيام ستَّة أيامٍ من شوَّال بعد رمضان؛ يعدل أَجر صيام الدهر في الأجر والثواب.

وقد اختلف العلماء في حكم ذلك، وذهبوا فيه إلى قولين:

---

(١) النحل: ٩٧.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٨٢٢) برقم (١١٦٤) كتاب الصيام باب استحباب صوم ستة أيام من شوال إتباعا لرمضان. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.



الأول: قال جمهور العلماء من الشافعية[١]، والحنابلة[٢]، والبعض من المالكية[٣]، والحنفية[٤] بأنَّ صيام السِّتِ من شوَّال مُستحَب، واستدلُّوا على ذلك بما روي عن ثوبان، عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنَّه قال:" صيامُ شَهرِ رَمَضانَ بِعَشرةِ أشهُرٍ، وسِتَّةُ أيَّامٍ بَعْدهُنَّ بِشَهرينِ، فذلك تمامُ سَنَةٍ". رواه أحمد[٥]، ممَّا يُؤَكِّد فضيلة صيام ستة أيام من شهر شوَّال.

---

(١) ينظر: اللباب في الفقه الشافعي (ص: ١٩٠)؛ الحاوي الكبير (٣/ ٤٧٥). اللباب في الفقه الشافعي، المؤلف: أحمد بن محمد بن أحمد بن القاسم الضبي، أبو الحسن ابن المحاملي الشافعيّ (المتوفى: ٤١٥هـ)، المحقق: عبد الكريم بن صنيتان العمري، الناشر: دار البخارى، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ. الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، المحقق: الشيخ علي محمد معوض - الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ -١٩٩٩م.

(٢) ينظر: التذكرة في الفقه لابن عقيل (ص: ٩٦)؛ المغني لابن قدامة (٤/ ٤٣٨). التذكرة في الفقه «على مذهب الإمام أحمد بن محمد بن حنبل»، المؤلف: أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي الحنبلي (المتوفى سنة ٥١٣هـ)، تحقيق وتعليق: الدكتور ناصر بن سعود بن عبد الله السلامة، القاضي بمحكمة عفيف، الناشر: دار إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م. المغني، المؤلف: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد ، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى : ٦٢٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، والدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، ط: عالم الكتب، الرياض - السعودية، الطبعة: الثالثة، سنة النشر: ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

(٣) ينظر: التبصرة للخمي (٢/ ٨١٥)؛ التنبيه على مبادئ التوجيه (٢/ ٧٦١). التبصرة، المؤلف: علي بن محمد الربعي، أبو الحسن، المعروف باللخمي (المتوفى: ٤٧٨ هـ)، دراسة وتحقيق: الدكتور أحمد عبد الكريم نجيب، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م. التنبيه على مبادئ التوجيه - قسم العبادات، المؤلف: أبو الطاهر إبراهيم بن عبد الصمد بن بشير التنوخي المهدوي (المتوفى: بعد ٥٣٦هـ)، المحقق: الدكتور محمد بلحسان، الناشر: دار ابن حزم، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

(٤) ينظر: فتح باب العناية (١/ ٥٨١) . فتح باب العناية بشرح النُّقاية، المؤلف: نور الدين أبو الحسن علي بن سلطان محمد الهروي القاري (٩٣٠ - ١٠١٤ هـ) مؤلف النقاية: صدر الشريعة عُبيد الله بن مسعود المحبوبي ت ٧٤٧ هـ) المحقق: محمد نزار تميم، هيثم نزار تميم، تقديم: خليل المَيْس مدير أزهر لبنان، الناشر: دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

(٥) رواه أحمد في مسنده (٣٧/ ٩٤) برقم (٢٢٤١٢). والنسائي في السنن الكبرى (٣/ ٢٣٩) برقم (٢٨٧٣) كتاب الصيام صيام ستة أيام من شوال. والحديث صححه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير وزياداته (٢/ ٧١٥). السنن الكبرى، المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١ م. صحيح الجامع الصغير وزياداته، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي.



واستدلُّوا أيضًا بقول الله تعالى: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴾[١]، ويُفسَّر ذلك بأنَّ الحسنة بعَشْر أمثالها، وصيام شهر رمضان يعادل ثلاثين حسنة، وكلّ حسنة بعشر؛ أي: ثلاثمائة حسنة، وصيام ستة أيام يعادل ستين حسنة، وبذلك يصبح مجموع أجر صيام رمضان وستة أيام بعده؛ ثلاثمائة وستين حسَنة تقابل عدد أيام السنة.

قال الشيخ السعدي- رحمه الله- في تفسيره: يُخبر تعالى عن مضاعفة فضْله، وتمام عدْله فقال: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ ﴾ شرط فيها أن يأتي بها العامل، لأنَّه قد يعملها ولكن يقترن بها ما لا تُقبَل منه أو يُبطلها. وهذا التضعيف للحسنة لا بُدَّ منه، وقد يقترن بذلك من الأسباب ما تزيد به المضاعفة، كما قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[٢][٣]؛ فالآية عامَّة تدلُّ على أنَّ أجر كلِّ العبادات مُضاعَف إلى عشرة أمثال، إلَّا الصيام الذي استثني بقول الرسول صلى الله عليه وسلم عن الله عزَّ وجلَّ:" كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ له إلَّا الصَّوْمَ، فإنَّه لي وأنا أجْزِي به، ولَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِن رِيحِ المِسْكِ". رواه البخاري[٤].

القول الثاني: ورد عن بعض فقهاء المذهب الحنفي[٥] والمالكي[٦] كراهة صيام ستَّة أيامٍ من شهر شوَّال؛ لعدم ورود أي نص عن أهل العلم والفقه والسَلَف يشير إلى أنَّهم كانوا يصومون ستَّة أيام من شوَّال بعد رمضان؛ خوفًا من وقوع الناس في البدعة؛ بظنِّهم وجوب الصيام.

---

(١) الأنعام: ١٦.

(٢) البقرة: ٢٦١.

(٣) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٦٢٥). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٧/ ١٦٤) برقم (٥٩٢٧) كتاب اللباس باب ما يذكر في المسك.

(٥) ينظر: المحيط البرهاني في الفقه النعماني (٢/ ٣٩٣)؛ فتح باب العناية (١/ ٥٨١). المحيط البرهاني في الفقه النعماني فقه الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه، المؤلف: أبو المعالي برهان الدين محمود بن أحمد بن عبد العزيز بن عمر بن مَازَةَ البخاري الحنفي (المتوفى: ٦١٦هـ)، المحقق: عبد الكريم سامي الجندي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

(٦) ينظر: التنبيه على مبادئ التوجيه (٢/ ٧٦١)؛ عقد الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة (١/ ٢٥٩). عقد الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة، المؤلف: أبو محمد جلال الدين عبد الله بن نجم بن شاس بن نزار الجذامي السعدي المالكي (المتوفى: ٦١٦هـ)، دراسة وتحقيق: أ. د. حميد بن محمد لحمر، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

والراجح الرأي الأول، وهذا ما رجحه الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله-: فالصواب: أنَّه من الأمور المطلوبة المسنونة التي حثَّ عليها النبي صلى الله عليه وسلم، ورغَّب فيها، لكن كون الإنسان يعتقد أنَّها فرض- بحيث إنَّه إذا صامها في عامٍ رأى أنَّه لزامًا عليه أن يصومها كل سَنة- فليس كذلك، هي سُنَّة، من صامها حصل الأجر، ومن لم يصمْها فليس عليه وزر[1].

وصيام هذه الستِ بعد رمضان دليلٌ على شُكْر الصائم لربِّه تعالى على توفيقه لصيام رمضان، وزيادة في الخير، كما أنَّ صيامها دليلٌ على حُبِّ الطاعات ورغبة في المواصلة في طريق الصالحات. وقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده بشُكْر نعمة صيام رمضان بإظهار ذِكْره، وغير ذلك من أنواع شُكْره، فقال تعالى: ﴿ وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[2]، فمِن جُملة شُكْر العبد لربِّه على توفيقه لصيام رمضان وإعانته عليه ومغفرة ذنوبه أن يصوم له شُكرًا عقيب ذلك. غير أنَّ السادة المالكية كرهوا صيامها في حقِّ مَن يُقتدَى به، ومَن يُخاف عليه اعتقاد وجوبِها إن صامها مُتَّصلة برمضان مُتتابعة مُظهِرًا لها مُعتقِدًا سُنِّيَّة اتصالها.

وأمَّا عن صيام الستِّ من شوَّال لمن عليه قضاء، فالأفضل له أن يقضي ما عليه من الأيام قبل أن يتنفَّل، ويجوز له أن يُقدِّم صيام الستِّ على القضاء؛ لأنَّ قضاء رمضان على التراخي، ويجوز له أن يجمَع بين نية القضاء وصيام الست من شوَّال بشرط أن تكون نيَّة القضاء هي الأصل. وقيل: تعجيل القضاء لما فات من رمضان أولى من النافلة.

ومن المسائل المتعلِّقة بصيام ستِّ من شوَّال ما يلي:

أوَّلًا: لا يتمُّ هذا الفضْل إلَّا لمن بادر بقضاءٍ ما فاته من رمضان أوَّلًا، ثم أتبعه بستٍّ من شوَّال، فيبدأ بالقضاء، ثم يصوم الستَّ من شوَّال.

ثانيًا: يتوهَّم بعض الناس أنَّ مَن صامها عامًا لزمتْه كلَّ عام؛ فلذلك يتقاعس عن صيامها حتَّى لا تجب عليه بعد ذلك، وهذا كلام باطل لم يقُلْه أحدٌ من أهل العلم، ولا دليل عليه.

ثالثًا: مَن شرع في صيام يومٍ من الستِّ، ثم بدا له أن يُفطر لأمرٍ عرض له؛ فلا بأس بالفطر؛ لأنَّ صوم التطوُّع يجوز قطعه، ويصوم بدلًا عنه يومًا آخر، بخلاف صوم القضاء؛ فمَن شرع فيه لم يَجُز له قطعه إلَّا بعذر شرعي كسفرٍ أو مرض.

---

(١) اللقاء الشهري (٤٢/ ١١). اللقاء الشهري، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية.

(٢) البقرة: ١٨٥.



رابعًا: يصح صيام الستِّ من شوَّال بنيَّة مِن النهار، فلا يُشترَط في صيامها تبييت النيَّة من الليل؛ لأنَّها من صوم التطوُّع، وصوم التطوُّع لا يُشترَط لصحَّته تبييت النيَّة، وليس لمن فرَّق بين التطوُّع المطلَق والتطوُّع المعيَّن دليلٌ من السُّنَّة يُعتمَد عليه، والفقهاء الذين يُصحِّحون التطوُّع بنيَّة من النهار لا يُفرِّقون بين التطوُّع المطلَق والتطوُّع المعيَّن.

أخيرًا: يُعلِّمنا ربُّنا سبحانه وتعالى أنَّ النجاح والفوز مستويات؛ فالفرض شهر رمضان يُمثِّل المستوى الأول، فإذا أردتَ أن ترتفع إلى المستوى الأعلى وتتدرَّج في مدارج الفلاح؛ ففرصة صيام ستَّة أيام من شهر شوَّال فرصةٌ لا تُعوَّض، سواءً أصُمْتَها مُتتابِعة- وهو الأفضل- أم مُتفرِّقة. فكلاهما صحيحٌ.



٣ شوَّال

فضْل صلة الأرحام وتحريم العقوق والقطيعة

إنَّ من مقاصد الإسلام؛ نشْر المحبَّة والألفة، ونبْذ التخاصُم والتدابُر والأحقاد، قال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾(١)، وعن النعمان بن بشير- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ؛ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى". رواه البخاري(٢).

وقد اتَّفقت الأمة على أنَّ صلة الرحم واجبة، وأنَّ قطيعتها مُحرَّمة، ولو كان الموصول كافرًا، فقد صحَّ عن أسماء بنت أبي بكر- رضي الله عنهما- قالت:" قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وهي مُشْرِكَةٌ في عَهْدِ قُرَيْشٍ، إذْ عَاهَدُوا رَسولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ومُدَّتِهِمْ مع أَبِيهَا، فَاسْتَفْتَتْ رَسولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقالَتْ: يا رَسولَ اللَّهِ؛ إنَّ أُمِّي قَدِمَتْ عَلَيَّ وهي رَاغِبَةٌ أَفَأَصِلُهَا؟ قالَ: نَعَمْ، صِلِيهَا". رواه البخاري(٣)، فأمَرَها صلى الله عليه وسلم بِصَلَتِها وهي كافرة.

ولهذا لما نزل قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾(٤)، دعا رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم قريشًا، فاجتمعوا، فعمَّ وخصَّ، فقال:" يا بني كعبِ بنِ لؤيٍّ، يا بني مرةَ بنِ كعبٍ، يا بني عبدِ شمسٍ، ويا بني عبدِ منافٍ، ويا بني هاشمٍ، ويا بني عبدِ المطلبِ؛ أنقذوا أنفُسَكم من النارِ، ويا فاطمةُ؛ أنقذي نفسَكِ من النارِ، إنِّي لا أملكُ لكم من اللهِ شيئًا، غيرَ أنَّ لكم رحمًا سأبُلُّها ببلالِها". رواه النسائي(٥).

---

(١) آل عمران: ١٠٣.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ١٠) برقم (٦٠١١) كتاب الأدب باب رحمة الناس والبهائم. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٩٩٩) برقم (٢٥٨٦) كتاب البر والصلة والآدب باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١٠٣) برقم (٣١٨٣) كتاب الجزية باب بدون ترجمة. ومسلم في صحيحه (٢/ ٦٩٦) برقم (١٠٠٣) كتاب الزكاة باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد، والوالدين ولو كانوا مشركين.

(٤) الشعراء: ٢١٤.

(٥) رواه النسائي في السنن الكبرى (٦/ ١٥٩) برقم (٦٤٣٨) كتاب الوصايا، إذا أوصى لعشيرته الأقربين. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن النسائي (٨/ ٢١٦). والحدث أصله في الصحيحين: رواه البخاري في صحيحه (٤/ ٦) برقم (٢٧٥٣) كتاب الوصايا باب: هل يدخل النساء والولد في الأقارب؟. ومسلم في صحيحه (١/ ١٩٢) برقم (٢٠٤) كتاب الإيمان باب في قوله تعالى: {وأنذر عشيرتك الأقربين} [الشعراء: ٢١٤]. صحيح وضعيف سنن النسائي، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية – المجاني – من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.



أي إنَّ لكم قرابة سأصلها بصلتها وبالإحسان إليها، ولكنِّي لا أُغني عنكم من الله شيئًا، وهذا هو حال المسلم؛ لما يفيض قلبه محبَّة ورأفة ورحمة على جميع خلْق الله، فيرجو لهم الخير، ويدفع عنهم الشَّرَّ والأذى ما استطاع، وخاصَّة ذوي القُربى.

ولهذا جاءت آيات القرآن الكريم مليئة بالحثِّ على صلة الأرحام، والتحذير من القطيعة والهِجران، ومن هذه الآيات قول الله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ﴾(١)؛ أي: اتَّقوا الله تعالى أن تعصوه، واتَّقوا الأرحام أن تقطعوها.

وقال تعالى: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴾(٢)، قال الإمام الطبري- رحمه الله- في تفسيره لهذه الآية الكريمة: هؤلاء الذين يفعلون هذا- يعني: الذين يُفسِدون ويَقطعون الأرحامَ- الذين لعنهم الله، فأبعدهم من رحمته فأصمَّهم، بمعنى: فسلبهم فَهْمَ ما يسمعون بآذانهم من مواعظ الله تعالى في تنزيله، ﴿وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ﴾؛ بمعنى: وسلبهم عقولهم، فلا يتبيَّنون حجج الله سبحانه، ولا يتذكَّرون ما يرون من عِبَره وأدلَّته(٣).

وقال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴾(٤)، يقول الإمام السعدي- رحمه الله-: وهذا عام في كل ما أمر الله تعالى بوَصْله؛ من الإيمان به سبحانه وبرسوله صلى الله عليه وسلم، ومحبَّتِه تعالى ومحبَّة رسوله صلى الله عليه وسلم، والانقياد لعبادته وحده لا شريك له، ولطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، ويَصِلون آباءهم وأمَّهاتِهم ببرِّهم بالقول والفعل وعدم عقوقهم، ويَصِلون الأقارب والأرحام بالإحسان إليهم قولًا وفعلًا، ويَصِلون ما بينهم وبين الأزواج والأصحاب والمماليك بأداء حقِّهم كاملًا مُوفَّرًا من الحقوق الدينيَّة والدنيويَّة، والسبب الذي يجعل العبد واصلًا ما أمر الله تعالى به أن يوصل؛ خشية الله تعالى وخوف يوم الحساب؛ ولهذا قال الله سبحانه: ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾؛ أي يخافونه، فيمنعهم خوفهم منه ومن القدوم عليه يوم الحساب؛ أن يتجرأوا على معاصي الله تعالى، أو يُقصِّروا في شيء ممَّا أمر الله سبحانه به؛ خوفًا من العقاب، ورجاءً للثواب(٥).

---

(١) النساء: ١.

(٢) محمد: ٢٢- ٢٣.

(٣) ينظر: تفسير الطبري (٢٢/ ١٧٨). جامع البيان في تأويل القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

(٤) الرعد: ٢١.

(٥) تفسير السعدي (ص: ٤١٦).

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين- رحمه الله-: صلة الرحم ليس فيها حدٌّ؛ لا في المدَّة، ولا في الكيفيَّة، ولا بالذي يُوصَل به؛ مالٌ أو كسوة أو غيره، فجاءت النصوص مُطلِقة صلة رحم، فما عدَّه الناس صلة فهو صلة، وما عدُّوه قطيعة فهو قطيعة؛ وبهذا تختلف الأحوال، قد يكون الناس في حال فقر والأقارب يحتاجون كثيرًا؛ فهنا لا بُدَّ أن أصِلَهم بالمال، وقد يكون بعض الأقارب مريضًا يحتاج إلى عيادة؛ فلا بُدَّ أن أعوده، فالمهم أنَّ صلة الأرحام موكولة إلى عُرْف الناس، وليس لها حدٌّ[١]، ومعرفة كيفيَّة صلة الرحم من الأمور الهامَّة للسعي لتفعيل هذه الكيفيَّة بكل سبيلٍ يُؤدِّي إلى تحقُّقها وجني ثمارها.

وفيما يلي بيانٌ لجملة من الفوائد الشرعية:

أوَّلًا: صِلة الرحم مع مَن قطَعَها: فعن عبد الله بن عمرو- رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" ليس الواصِلُ بالمكافِئ، ولكنَّ الواصل الَّذي إذا قُطِعتْ رَحِمُه وصلَها"؛ رواه البخاري[٢]، وفي هذا الحديث الشريف تبيانٌ عظيم للحثِّ على صلة الرحم والوفاء بحقِّها؛ فمَن يصلْ مَن وَصَلَه فهو مُكافئٌ لهذه الصلة، ولكنَّ مَن يصلِ الرحم مع مَن قطَعَها؛ فهو حقًّا يعرف قدْر وفضيلة صلة الرحم، ويجاهد نفسه ابتغاء مرضاة الله تعالى.

ثانيًا: الصدقة على ذوي الأرحام: فعن حكيم بن حزام- رضي الله عنه- قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم:" إنَّ أفضل الصدقة؛ الصَّدقةُ على ذي الرحِمِ الكاشح". رواه أحمد[٣]، فأفضل الصدقة الصدقة على ذي الرحم الذي يُضمِر العداوة، لأنَّها علامة الإخلاص طمعًا في مرضاة الله الكريم، كما يجب على المسلم أن يحفظ ماء وجه الغير من صلة الأرحام وغيرهم.

ثالثًا: الدعاء بظهر الغيب: وهو دعاء مستجاب بفضْل الله تعالى؛ فعن صفوان بن عبد الله بن صفوان- رضي الله عنه- قال:" قدمتُ الشامَ، فأتيتُ أبا الدَّرداء في منزله فلم أجدْه، ووجدتُ أمَّ الدَّرداء، فقالت: أتريدُ الحجَّ العامَ؟ فقلتُ: نعم، قالت: فادعُ اللهَ لنا بخيرٍ؛ فإنَّ النبيَّ صلى الله عليه

---

(١) ينظر: لقاء الباب المفتوح (٧٣/ ٣٨). لقاء الباب المفتوح، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، [لقاءات كان يعقدها الشيخ بمنزله كل خميس. بدأت في أواخر شوال ١٤١٢هـ وانتهت في الخميس ١٤ صفر، عام ١٤٢١هـ]، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٦) برقم (٥٩٩١) كتاب الأدب باب ليس الواصل بالمكافئ.

(٣) رواه أحمد في مسنده (٣٨/ ٥١١) برقم (٢٣٥٣١). والحديث صححه الألباني كما في إرواء الغليل (٣/ ٤٠٤). إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى : ١٤٢٠هـ)، إشراف: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثانية ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.



وسلم كان يقول: دعوةُ المرءِ المسلم لأخيه بظهرِ الغيبِ مُستجابةٌ، عند رأسِه ملَكٌ مُوكَّل، كلَّما دعا لأخيه بخيرٍ قال الملَكُ الموكَّل به: آمين، ولكَ بمِثل". رواه مسلم[١].

وفي الختام: وسائل صلة الرحم كثيرة ومنها المهاتفة، سُئل الشيخ عبد العزيز بن باز- رحمه الله-: هل تجوز صلة الرحم عبر التليفون؟ فأجاب: نعم، هذا من صلة الرحم، المكالمة الهاتفيَّة، والمكاتبة بالقلم، كلُّها من الصلة، كونه يكتب إليه، إلى أخيه، أو عمِّه، أو قريبه، يسأله عن صحَّته وعن حاله، أو يُكلِّمه بالهاتف؛ كلُّه طيِّب، كلُّه من الصلة[٢].

حسـبُكَ مِـن ذُلٍّ وسُـوءِ صـنعةٍ ... مُعَـادَاةُ القُـرْبَى وإنْ قيـلَ: قـاطِعُ
ولكـنْ أواسـيه وأنسـى ذنبَـهُ ... لتُرجِعَـهُ يومًـا إليَّ الرَّوَاجِـعُ
ولا يستوي في الحُكْمِ عَبْدَانِ: وَاصِلٌ ... وعبدٌ لأرحـامِ القَـرَابَةِ قَاطِـعُ[٣]

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٩٤) برقم (٢٧٣٣) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب.

(٢) من سؤال لسماحته رحمه الله بعنوان صلة الرحم عبر الهاتف. ينظر موقع الشيخ عليه رحمة الله: https://binbaz.org.sa/fatwas/14502/%D8%B5%D9%84%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B1%D8%AD%D9%85-%D8%B9%D8%A8%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D9%87%D8%A7%D8%AA%D9%81 .

(٣) ينظر: أدب الدنيا والدين (ص: ١٥٣). أدب الدنيا والدين، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، الناشر: دار مكتبة الحياة، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: ١٩٨٦م.

٤ شوَّال

إنَّك لا تهدي مَن أحببْتَ

هداية الله تعالى للعبد وإضلاله له من أهمِّ أبواب القدَر ومسائله، وإنَّ أفضل ما يُقدِّره الله تعالى للعبد هو الهُدى، وأعظم ما يبتليه به ويُقدِّره عليه هو الضلال، وقد اتَّفقت رسل الله جميعًا، وكذلك كُتُبُهُ المنزَّلة على أنَّ الله يَهدي مَن يشاء ويُضلُّ مَن يشاء، فالهُدى والضلال بيده، وطلب الهداية والسعي إليها من طلب العبد وكسبه.

والهداية هي الدلالة والتعريف، والإرشاد، والوصول إلى المطلوب، وفي الحديث:" أَقْبَلَ نَبِيُّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إلى المدِينَةِ وهو مُرْدِفٌ أبا بَكْرٍ، وأَبُو بَكْرٍ شيخٌ يُعْرَفُ، ونَبِيُّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم شابٌّ لا يُعْرَفُ، قالَ: فَيَلْقَى الرَّجُلُ أبا بَكْرٍ فيَقولُ: يا أبا بَكْرٍ؛ مَن هذا الرَّجُلُ الذي بيْنَ يَدَيْكَ؟ فيَقولُ: هذا الرَّجُلُ يَهْدِينِي السَّبِيلَ". رواه البخاري[١]. أي: يُعرِّفُني ويدلُّني ويُرشدني إلى الطريق، فيحسب الحاسب أنَّ أبا بكر- رضي الله عنه- يريد الطريق، وإنَّما هو يعني سبيل الخير وطريق الوصول إلى الله تعالى.

والهداية أنواع؛ فمنها: هداية الدلالة، وهداية التأييد والتوفيق؛ فهداية الدلالة هي الهداية التي يقدر عليها الرسل- عليهم السلام- وأتباعُهم من الدعاة إلى الله تعالى، إذ يُرشدون الناس إلى الطريق الصحيح الذي يُرضي الله تعالى عنهم، ويُنجيهم يوم القيامة من عذابه، ولا يملك الرسل والدعاة نتائج الهداية، فيبذلون جهدهم بقدر ما يستطيعون، وتبقى النتائج بيد الله وحده؛ حيث قال تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾[٢]. قال الشيخ السعدي- رحمه الله-: يُخبر تعالى: إنَّكَ- يا محمد، وغيرُك من باب أولى- لا تقدر على هداية أحد، ولو كان مِن أحبِّ الناس إليك، فإنَّ هذا أمرٌ غير مقدور للخلْق هداية للتوفيق، وإيجاد الإيمان في القلب، وإنَّما ذلك بيد الله سبحانه تعالى، يهدي مَن يشاء، وهو أعلم بمَن يصلح للهداية فيهديه، ممَّن لا يصلح لها فيُبقيه على ضلاله[٣]. وهذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجْل عمِّه أبي

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٥/ ٦٢) برقم (٣٩١١) كتاب مناقب الأنصار باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة.

(٢) القصص: ٥٦.

(٣) تفسير السعدي (ص: ٦٢٠).



طالب، فإنَّه لما حَضَرَتْ أبَا طَالِبٍ الوَفَاةُ، جَاءَهُ رَسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَوَجَدَ عِنْدَهُ أبَا جَهْلٍ، وعَبْدَ اللَّهِ بنَ أَبِي أُمَيَّةَ بنِ المغِيرَةِ، فَقالَ: أيْ عَمِّ؛ قُلْ: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ؛ كَلِمَةً أُحَاجُّ لكَ بهَا عِنْدَ اللَّهِ. فَقالَ أبو جَهْلٍ وعَبْدُ اللَّهِ بنُ أَبِي أُمَيَّةَ: أتَرْغَبُ عن مِلَّةِ عبدِ المطَّلِبِ؟ فَلَمْ يَزَلْ رَسولُ اللَّهِ- صلى الله عليه وسلم- يَعْرِضُهَا عليه، ويُعِيدَانِهِ بتِلْكَ المقالَةِ، حتَّى قالَ أبو طَالِبٍ آخِرَ ما كَلَّمَهُمْ: علَى مِلَّةِ عبدِ المطَّلِبِ، وأَبَى أنْ يَقُولَ: لَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، قالَ: قالَ رَسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: واللَّهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لكَ ما لَمْ أُنْهَ عَنْكَ فأنْزَلَ اللَّهُ: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي ﴾[1]، وأَنْزَلَ اللَّهُ في أَبِي طَالِبٍ أيضًا مُخاطِبًا رَسولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾[2]، رواه البخاري[3].

وأمَّا إثبات الهداية للرسول صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾[4]؛ فتلك هداية البيان والإرشاد، فالرسول صلى الله عليه وسلم يُبيّن الصراط المستقيم، ويُرغّب فيه، ويبذل جهده في سلوك الخلْق له، وأمَّا كونه يخلق في قلوبهم الإيمان، ويُوفِّقهم بالفعل؛ فحاشا وكلَّا، ولهذا لو كان قادرًا عليها؛ لهدى مَن وصل إليه إحسانه، ونصره ومنعه من قومه، عمَّه أبا طالب، ولكنَّه أوصل إليه من الإحسان بالدعوة للدين والنصح التام، ما هو أعظم ممَّا فعله معه عمُّه، ولكنَّ الهداية بيد الله تعالى.

أمَّا هداية التوفيق فهي الهداية التي تفرَّد الله تعالى بإيجادها في قلوب الناس، وهي قائمة على خَلْق الإيمان في قلوبهم وتوفيقهم وتصريف خطواتهم لتكون في سبيل رضا الله تعالى، وهذه الهداية لا يقدر عليها إلَّا الله تعالى؛ حيث يُودعها في قلب مَن يشاء مِن عباده؛ جاء في القرآن الكريم: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[5].

والهداية نعمة من الله تعالى، ولها أسباب؛ ومن أسباب الهداية:

---

(١) التوبة: ١١٣.

(٢) القصص: ٥٦.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٥/ ٥٢) برقم (٣٨٨٤) كتاب مناقب الأنصار باب قصة أبي طالب. ومسلم في صحيحه (١/ ٥٤) برقم (٢٤) كتاب الإيمان باب أول الإيمان قول لا إله إلا الله.

(٤) الشورى: ٥٢.

(٥) العنكبوت: ٦٩.



أوَّلًا: التوحيد: فالتوحيد من أعظم أسباب الهداية؛ فمَن وحَّد الله هُدِيَ، فإنَّ مَن عرف الله تعالى بأسمائه وصفاته أحبَّه ورجاه، وخافه واتَّقاه، وعمل على عبادته وتعظيمه وخشيته، وهذه هي الهداية، قال سبحانه: ﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾[١]، ومن هدى اللهُ قلبَه سجد سجدته بين يديه إلى يوم يلقاه، لا ينفكُّ ينتقل من طاعةٍ إلى طاعةٍ لِما ذاق من حلاوة السجود بين يديه عزَّ وجلَّ.

ثانيًا: الاعتصام بالله ودعاؤه ورجاؤه على الدوام، ولذلك دعانا الله إلى سؤاله، وحثَّنا على التضرُّع إليه أن يهديَنا إلى الصراط المستقيم كما ندعو في سورة الفاتحة قائلين: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾[٢]، وقد أطال الشيخ ابن عثيمين– رحمه الله– في بيان هذه المسألة التي تُشكِل على بعض الناس، فقال: إذا كان الأمر راجعًا إلى مشيئة الله تبارك وتعالى، وأنَّ الأمر كلَّه بيده؛ فما طريق الإنسان إذن؟ وما حيلة الإنسان إذا كان الله تعالى قد قَدَّر عليه أن يَضلَّ ولا يهتدي؟ ثم أجاب– رحمه الله– عن ذلك بأنَّ الله تبارك وتعالى إنَّما يَهدي مَن كان أهلًا للهداية، ويُضلُّ مَن كان أهلًا للضلالة، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾[٣]، ويقول تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾[٤]، فبيَّن الله تبارك وتعالى أنَّ أسباب إضلاله لمن ضلَّ؛ إنَّما هو بسببٍ من العبد نفسِه، والعبدُ لا يدرى ما قَدَّر الله تعالى له، لأنَّه لا يعلم بالقدَر إلَّا بعد وقوع المقدور. فهو لا يدري هل قدَّر الله له أن يكون ضالًّا أم أن يكون مُهتديًا؟ فما باله يسلك طريق الضلال، ثم يحتجُّ بأنَّ الله تعالى قد أراد له ذلك! أفلا يجدر به أن يسلك طريق الهداية ثم يقول: إنَّ الله تعالى قد هداني للصراط المستقيم[٥].

ومن علامات الهداية التي يستدلُّ بها العبدُ على سلوكه طريق الهداية بالفعل؛ ما دلَّنا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديثه الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة– رضي الله

---

(١) التغابن: ١١.

(٢) الفاتحة: ٦-٧.

(٣) الصف: ٥.

(٤) المائدة: ١٣.

(٥) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٥/ ٢٢٠). مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى : ١٤٢١هـ)، جمع وترتيب : فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، الناشر : دار الوطن – دار الثريا، الطبعة : الأخيرة – ١٤١٣هـ.

عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ. فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الأَرْضِ. وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَيَقُولُ: إِنِّي أُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضْهُ، فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ، فَيُبْغِضُونَهُ، ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الأَرْضِ"(١).

والخلاصة: أنَّ حُبَّ الناس للعبد وثناءهم عليه وإجماعهم على القُرْب منه والمودَّة له وخلعهم بالإجماع عليه؛ من علامات هداية العبد، والمقصود والمعنى في هذا الحديث طبعًا هم المؤمنون الذين هم ألْسنة الحقِ في الأرض. كما في الحديث الذي أخرجه البخاري من حديث عائشة- رضي الله عنها- أنَّه صلى الله عليه وسلم قال:" الأرواحُ جُنودٌ مُجَنَّدةٌ، ما تعارَفَ منها ائتلفَ، وما تناكَرَ منها اختلفَ". رواه البخاري(٢). قال الإمام الخطابي: أرواح المؤمنين تَحِنُّ إلى المؤمنين، وأرواح المنافقين تَحِنُّ إلى المنافقين(٣).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١١١) برقم (٣٢٠٩) كتاب بدء الخلق باب ذكر الملائكة. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٣٠) برقم (٢٦٣٧) كتاب البر والصلة والآداب باب إذا أحب الله عبدا حببه لعباده.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١٣٣) برقم (٣٣٣٦) كتاب أحاديث الأنبياء باب الأرواح جنود مجندة. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٣١) برقم (٢٦٣٨) كتاب البر والصلة والآداب باب الأرواح جنود مجندة.

(٣) لم أقف عليه.



٥ شوَّال

نِعمتانِ مَغبونٌ فيهما كثيرٌ من الناس

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾[١]، ومِن أعظم نِعَم الله على عبده نعمتا الصِّحَّة والفراغ؛ لأنَّهما- وبلا مبالغة- رأس مال المسلم في حياته، ولا بُدَّ أن يستثمرهما الاستثمار الناجح له في دنياه وآخرته؛ فعن عبد الله بن عباس- رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" نِعْمَتانِ مَغْبُونٌ فِيهِما كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ والفَراغُ". رواه البخاري[٢]، يُنبِّه الحديث الشريف على ضرورة اغتنام أمرَينِ أساسيَّيْنِ لما لهما من أهمِّيَّة في حياة الناس:

الأمر الأوَّل: نعمة الصِّحَّة: التي يكون معها الإنسان سليم البدن، مرتاح النفس، خاليًا من العيوب والأعراض والأمراض، فالإنسان لا ينبغي أن يُضيِّع فرصة استغلال صحَّته فيما ينفعه دينًا ودُنيا، وأن لا يُسخِّرها فقط في اللهو واللعب، والبحث عن الأمور التافهة، فهو بهذا الصنيع يكون كمن يبني بيتًا من صوف، فيأتي غثاء كغثاء السيل فلم يجد شيئًا، لكن إن هو استغلَّها فيما يُصلح به نفسه وحاله ومآله؛ فاز بالفضيلة في دينه ودُنياه، ولا بُدَّ من استثمار هذه النعم في طاعة الله كي لا تكون خاسرًا في الدنيا، ولا آثمًا في الآخرة، فهذه النعم سنُحاسَب عليها، قال صلى الله عليه وسلم:" لا تزولُ قدَما عبدٍ يومَ القيامةِ حتَّى يُسألَ عن عمرِهِ فيما أفناهُ، وعن عِلمِهِ فيمَ فعلَ، وعن مالِهِ من أينَ اكتسبَهُ وفيمَ أنفقَهُ، وعن جسمِهِ فيمَ أبلاهُ". رواه الترمذي[٣]، إذ يستغلُّ المسلم وقته في الطاعات كي لا يقع بالمعاصي، ويستخدم جسده في ما يُرضي الله لنيل رضاه، ولقد اهتمَّ الإسلام بصحَّة الإنسان ودعاه للحفاظ عليها، قال صلى الله عليه وسلم:" إنَّ لنَفْسِكَ عليكَ حقًّا". رواه البخاري[٤].

---

(١) إبراهيم: ٣٤.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٨٨) برقم (٦٤١٢) كتاب الرقاق باب لا عيش إلا عيش الآخرة.

(٣) رواه الترمذي في جامعه (٤/ ٦١٢) برقم (٢٤١٧) أبواب صفة القيامة والرقائق والورع باب في القيامة. والحديث صححه الألباني كما في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ١٦٢).

(٤ والحديث في البخاري بلفظ: "فإن لجسدك عليك حقًّا" صحيح البخاري (٣/ ٣٩) برقم (١٩٧٥) كتاب الصوم باب حق الجسم في الصوم. ورواه بهذا اللفظ: أحمد في مسنده (٤٣/ ٣٣٥) برقم (٢٦٣٠٩). وأبو داود في سننه (٢/ ٤٨) برقم (١٣٦٩) كتاب الصلاة باب ما يؤمر به من القصد في الصلاة. الترمذي في جامعه (٤/ ٦٠٨) برقم (٢٤١٣) أبواب الزهد باب بدون ترجمة. والنسائي في السنن الكبرى (٣/ ٢٥٨) برقم (٢٩٣٤) كتاب الصيام صوم الرجل مع زوجته وحقها في ذلك. والحديث صححه الألباني كما في إرواء الغليل (٧/ ٧٩).



وفي الحديث الشريف الآخَر يُلخِّص صلى الله عليه وسلم خمسة أمورٍ تُقابلها خمسة أخرى تصيب الإنسان في الحياة؛ فإذا هو لم يستغل الخمسة الأولى حالة القدرة على الفعل؛ أدركتْه الخمسة الثانية وصار عاجزًا معها ؛ عن ابن عباس- رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم- لرجل وهو يعظه:" اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاءَكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ". أخرجه الحاكم في المستدرك وصحَّحه الألباني(١).

فاغتنام الصحة قبل مجيء الآفة؛ فضْلٌ لا يتفطَّن إليه إلَّا عاقلٌ عرف أهمية الوقت وسرعة انقضائه، فالإنسان عندما يكون شابًّا يافعًا قويًّا في نفسه وبدنه؛ يستطيع أن يقوم بأمور لا يستطيع الذي بلغ من الكبر عتيًّا أن يأتي بها؛ فالإنسان لا بُدَّ وأن تكون له هِمَّة ينظر بها إلى العُلا؛ كما يقول الشاعر المتنبِّي:

على قدْرِ أهلِ العزمِ تأتي العزائمُ وتأتي على قدْرِ الكرامِ المكارمُ(٢)

والصِّحَّة والأمن لا يعلم فضلَهما إلَّا اللهُ سبحانه وتعالى وقليلٌ من خلقه؛ عن سلمة بن عبيد الله بن محصن الأنصاري عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، آمِنًا فِي سِرْبِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا".رواه الترمذي(٣). فتلك هي السعادة الحقيقيَّة لمعنى الحياة المترِبّصة عوائقها بالإنسان.

الأمر الثاني: نعمة الفراغ: فهي حالة نفسيَّة وجسديَّة يكون الإنسان معها مُتفرّغًا لا شغل له، غير مُحاطٍ بالمهام الكثيرة لا مُستغلّ له، حُرٌّ في تصرُّفات وقته، لا معاند له، حُرٌّ في إبداعه، لا مانع له، ففي هذه الحال يُحبَّذُ أن يضع هذا الإنسان لنفسه أهدافًا وخططًا يملأ بها أوقاته فيما يُرضي الله في الدنيا والآخرة.

---

(١) رواه النسائي في السنن الكبرى (١٠/ ٤٠٠) برقم (١١٨٣٢) كتاب المواعظ. الحاكم في المستدرك (٤/ ٣٤١) برقم (٧٨٤٦) كتاب الرقاق. والحديث صححه الألباني كما في صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ٣١١).

(٢) ينظر: شرح ديوان المتنبي للواحدي (ص: ٢٧٤). الكتاب: شرح ديوان المتنبي، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ).

(٣) رواه الترمذي في جامعه (٤/ ٥٧٤) برقم (٢٣٤٦) أبواب الزهد باب بدون ترجمة. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٣٨٧) برقم (٤١٤١) كتاب الزهد باب القناعة. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٥/ ٤٠٨). سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، (لمكتبة المعارف)، عام النشر: جـ ١ - ٤: ١٤١٥هـ - ١٩٩٥ م، جـ ٦: ١٤١٦هـ - ١٩٩٦ م، جـ ٧: ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.



قال العلَّامة ابن عثيمين– رحمه الله–: وذلك أنَّ الإنسان إذا كان صحيحًا كان قادرًا على ما أمره الله به أن يفعله، وكان قادرًا على ما نهاه الله عنه أن يتركه لأنَّه صحيح البدن، منشرِح الصدر، مطمئن القلب، كذلك الفراغ إذا كان عنده ما يؤويه وما يكفيه من مؤنة فهو مُتفرِّغ؛ فإذا كان الإنسان فارغًا صحيحًا فإنَّه يغبن كثيرًا في هذا، لأنَّ كثيرًا من أوقاتنا تضيع بلا فائدة ونحن في صحَّة وعافية وفراغ، ومع ذلك تضيع علينا كثيرًا، ولكننا لا نعرف هذا الغبن في الدنيا، إنَّما يعرف الإنسانُ الغبنَ إذا حضره أجلُه، وإذا كان يوم القيامة، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ﴾[١]، وقال أيضًا: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[٢].

والواقع يُؤَكِّد أنَّ كثيرًا من أوقاتنا تذهب سُدًى، لا ننتفع منها، ولا ننفع أحدًا بها، ولا نندم على هذا إلَّا إذا حضر الأجَل؛ يتمنَّى الإنسان أن يُعطَى فرصة، ولكن هيهات.

ثمَّ إنَّ الإنسان قد لا تفوته هاتانِ النعمتانِ: الصحَّة والفراغ بالموت، بل قد تفوته قبل أن يموت، قد يمرض ويعجز عن القيام بما أوجب الله عليه، وقد ينشغل بطلب النفقة له ولعياله حتَّى تفوته كثير من الطاعات، ولهذا ينبغي للإنسان العاقل أن ينتهز فرصة الصحَّة والفراغ بطاعة الله عزَّ وجلَّ بقدر ما يستطيع، إن كان قارئًا للقرآن فليُكثرْ من قراءة القرآن، وإن كان لا يعرف القراءة يُكثر من ذكْر الله عزَّ وجلَّ، وإذا كان لا يُمكنُه فلْيأمرْ بالمعروف ولْيَنْهَ عن المنكر، أو يبذل لإخوانه كلَّ ما يستطيع من معونة وإحسان، فكلُّ هذه خيراتٌ كثيرةٌ تذهب علينا سُدًى، فالإنسان العاقل هو الذي ينتهز الفرص؛ فرصة الصِّحَّة، وفرصة الفراغ، وفي هذا دليلٌ على أنَّ نِعم الله تتفاوت، وأنَّ بعضها أكثر من بعض. وأكبر نعمة يُنعِم الله تعالى بها على العبد هي نعمة الإسلام، قال الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ ﴾[٣].

ثانيًا: ثم نعمة العقل، فإنَّ الإنسان إذا رأى مُبتلًى في عقله لا يُحسِن التصرُّف، ورُبَّما يُسيء إلى نفسه وإلى أهله؛ حَمِدَ اللهَ تعالى على هذه النعمة؛ فإنَّها نعمة عظيمة.

---

(١) المؤمنون: ٩٩– ١٠٠.

(٢) المنافقون: ١٠– ١١.

(٣) المائدة: ٣.

ثالثًا: نعمة الأمن في الأوطان، فإنَّها من أكبر النعم، وقد سمعنا من آبائنا وأجدادنا قديمًا أنَّهم كانوا إذا خرج الواحد منهم إلى صلاة الفجر؛ لا يخرج إلَّا مُصطَحِبًا سلاحه؛ لأنَّه يخشى أن يعتدي عليه أحدٌ، فنعمة الأمن لا تُشابهها نعمةٌ غير نعمة الإسلام والعقل.

رابعًا: كذلك مما أنعم الله به علينا- ولا سيَّما في بلادنا- رغد العيش؛ يأتينا الرزق من كل مكان، فنحن في خير عظيم ولله الحمد؛ فالبيوت مليئة بالأرزاق.

وأخيرًا؛ علينا أن نشكر الله سبحانه وتعالى على هذه النعم العظيمة، وأن نقوم بطاعة الله حتَّى يمُنَّ علينا بزيادة النعم؛ لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾(١)(٢).

(١) إبراهيم: ٧.

(٢) ينظر: شرح رياض الصالحين (٢/ ٦٥- ٦٨).

٦ شوَّال

فضل الوضوء

الوضوءَ من العبادات الشريفة في الإسلام، فقد جاء عن جمهور الفقهاء من المالكية وبعض الشافعية والحنفية أنَّ الوضوء ليس مُختصًّا بأُمَّة محمد صلى الله عليه وسلم، وإنَّما كان موجودًا في الشرائع القديمة، وإنَّما تميَّزتْ هذه الأُمَّة عن غيرها بكيفيَّته، أو الأثر المترتِّب عليه من الغُرِّ والتحجيل والنور والبياض يوم القيامة(١)، ومن عظمة عبادة الوضوء أنَّها سببٌ لصحَّة الصلاة، والصلاة هي صلة بين العبد وربِّه سبحانه وتعالى، وسببٌ لكل أبواب الخير؛ قال الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾(٢).

وبيَّن الله تعالى كيفيَّة الوضوء في كتابه الحكيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾(٣)، وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" لا يَقبَلُ اللهُ صلاةَ أحدِكم إذا أحدَثَ حتَّى يتوضَّأ". رواه البخاري(٤).

وللوضوء فضائل كثيرة؛ منها: أنَّه سببٌ لحُبِّ الله تعالى: فقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِۖ قُلۡ هُوَ أَذٗى فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِ وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَۖ فَإِذَا تَطَهَّرۡنَ فَأۡتُوهُنَّ مِنۡ

(١) ينظر: كشاف القناع عن متن الإقناع (١/ ١٠٩)؛ مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى (١/ ١٢٤). كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس بن إدريس البهوتي، تحقيق هلال مصيلحي مصطفى هلال، الناشر دار الفكر، سنة النشر ١٤٠٢، مكان النشر بيروت. مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، المؤلف: مصطفى بن سعد بن عبده السيوطي شهرة، الرحيبانى مولدا ثم الدمشقي الحنبلي (المتوفى: ١٢٤٣هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: الثانية، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

(٢) البقرة: ١١٠.

(٣) المائدة: ٦.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٩/ ٢٣) برقم (٦٩٥٤) كتاب الحيل باب في الصلاة. ومسلم في صحيحه (١/ ٢٠٤) برقم (٢٢٥) كتاب الطهارة باب وجوب الطهارة للصلاة.



﴿حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾[١]. قال الشيخ السعدي- رحمه الله-: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾؛ أي: من ذنوبهم على الدوام، ﴿وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾؛ أي: المتنزّهين عن الآثام، وهذا يشمل التطهُّرَ الحسّيَ مِنَ الأنجاس والأحداث، ففيه مشروعيَّة الطهارة مُطلَقًا؛ لأنَّ الله يُحبُّ المتَّصف بها؛ ولهذا كانت الطهارة مُطلَقًا شرطًا لصحَّة الصلاة والطواف، وجواز مسِّ المصحف، ويشمل التطهُّرَ المعنويَّ مِنَ الأخلاق الرذيلة، والصفات القبيحة، والأفعال الخسيسة[٢].

كذلك الوضوء سببٌ في دخول الجنة: فعن عقبة بن عامر- رضي الله عنه- قال:" كانتْ علينا رعاية الإبل، فجاءتْ نوبتي، فروَّحتُها بعشيٍّ، فأدركتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم قائمًا يُحدِّثُ الناس، فأدركتُ مِن قوله: ما مِن مُسلمٍ يتوضَّأ فيُحسِن وضوءه، ثم يقوم فيُصلِّي ركعتين، مُقبِلٌ عليهما بقلبه ووجهه، إلَّا وَجَبَتْ له الجنَّة، قال: فقلتُ: ما أجودَ هذه! فإذا قائِلٌ بين يديَّ يقول: التي قبلها أجودُ، فنظرتُ فإذا عُمرُ، قال: إنِّي قد رأيتُكَ جئتَ آنِفًا، قال: ما منكم من أحدٍ يتوضَّأ فيُبلِغ (أو فيُسبغ) الوضوء ثم يقول: أشهد أن لا إله إلَّا الله وأنَّ محمَّدًا عبد الله ورسوله؛ إلَّا فُتِحتْ له أبواب الجنَّة الثمانية، يدخل مِن أيِّها شاء". رواه مسلم[٣]، وفي رواية الترمذي عن عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-:" مَن توضَّأ فأحسنَ الوضوءَ، ثم قال: أشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحمَّدًا عبده ورسوله، اللهمَّ اجعلني من التوَّابين، واجعلني من المتطهِّرين، فُتِحتْ له ثمانية أبواب الجنة، يدخل مِن أيِّها شاء"[٤].

والوضوء أيضًا سببٌ للغُرَّة والتحجيل يوم القيامة: وذلك لقول النبي صلى الله عليه وسلم:" إنَّ أُمَّتي يُدْعَوْنَ يَومَ القِيامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِن آثارِ الوُضُوءِ، فَمَنِ اسْتَطاعَ مِنكُم أنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ فَلْيَفْعَلْ". رواه البخاري[٥]، والغُرَّةُ في اللغة: هو البياض الذي يكون في جبهة الفرس، وأمَّا التحجيل: فهو البياض الذي يكون في يديها ورجليها، وفي ذلك إشارة إلى النور والبياض الذي يكون على المتوضِّئ يوم القيامة.

---

(١) البقرة: ٢٢٢.

(٢) تفسير السعدي (ص: ١٠٠).

(٣) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٢٠٩) برقم (٢٣٤) كتاب الطهارة باب الذكر المستحب عقب الوضوء.

(٤) رواه الترمذي في جامعه (١/ ٧٧) برقم (٥٥) أبواب الطهارة باب ما يقال بعد الوضوء. والحديث صححه الألباني كما في إرواء الغليل (١/ ١٣٥).

(٥) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٣٩) برقم (١٣٦)كتاب الوضوء باب فضل الوضوء، والغر المحجلون من آثار الوضوء.



كذلك الوضوء سببٌ لتكفير الخطايا ورفْع الدرجات: والمقصود أنَّه يُكَفِّر صغائر الذنوب دون الكبائر، لقول النبيِ صلى الله عليه وسلم:" أَلا أَدُلُّكُمْ علَى ما يَمْحُو اللَّهُ به الخَطايا، ويَرْفَعُ به الدَّرَجاتِ؟ قالُوا: بَلَى يا رَسولَ اللهِ، قالَ: إسْباغُ الوُضُوءِ علَى المَكارِهِ، وكَثْرَةُ الخُطا إلى المَساجِدِ، وانْتِظارُ الصَّلاةِ بَعْدَ الصَّلاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّباطُ". رواه مسلم[١]، والمقصود بمحو الخطايا هو مغفرتها، وأمَّا رفْع الدرجات فهو رفْع المنزلة في الجنَّة.

يقول الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله-: إسباغ الوضوء على المكاره يعني: أنَّ الإنسان يتوضَّأ وضوءه على كُرْهٍ منه، إمَّا لكونه فيه حُمَّى ينفر من الماء فيتوضَّأ على كُره، وإمَّا أن يكون الجوُّ باردًا وليس عنده ما يُسخِّن به الماء، فيتوضَّأ على كُره، وإمَّا أن يكون هناك أمطارٌ تحول بينه وبين الوصول لمكان الوضوء، فيتوضَّأ على كُره. المهمُّ أنَّه يتوضَّأ على كُره ومشقَّة، لكن بدون ضرر[٢].

ومن فضْله أيضًا في تكفير الخطايا؛ ما رواه أبو هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم:" مَن تطهَّر في بيته ثم مشى إلى بيتٍ من بيوت الله- ليقضي فريضةً من فرائض الله- كانت خطوتاه إحداهما تحُطُّ خطيئةً، والأخرى ترفع درجةً". رواه مسلم[٣].

والوضوء سببٌ لانحلال عُقَدِ الشيطان عن الإنسان: لقول النبي صلى الله عليه وسلم:"يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ علَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إذَا هو نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ؛ يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ: عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ، فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فإنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فإنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فأصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ، وإلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانَ". رواه البخاري[٤].

وقد سُئل سماحة الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله-: ما الفضْل الذي يناله المسلم إذا استمرَّ على الوضوء بعد كلِّ حدث؟ فأجاب- رحمه الله-: الفضْل الذي يناله المسلم إذا استمرَّ على الوضوء بعد كلِّ حدث أنَّه يبقى طاهرًا، والمكث على الطهر، والبقاء على الطهر من الأعمال الصالحة؛ ولأنَّه ربَّما يذكر الله سبحانه وتعالى في أحواله كلِّها، فيكون ذَكَرَ الله تعالى على طُهْرٍ؛ ولأنَّه قد يعرض له صلاة في مكان ليس فيه ماء يسهل الوضوء منه فيكون مُستعِدًّا لهذه الصلاة[٥].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٢١٩) برقم (٢٥١) كتاب الطهارة باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره.

(٢) شرح رياض الصالحين (٥/ ٢١).

(٣) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٤٦٢) برقم (٦٦٦) كتاب الصلاة باب المشي إلى الصلاة تمحى به الخطايا، وترفع به الدرجات.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ٥٢) برقم (١١٤٢) كتاب التهجد باب عقد الشيطان على قافية الرأس إذا لم يصل بالليل. مسلم في صحيحه (١/ ٥٣٨) برقم (٧٧٦) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب ما روي فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح.

(٥) فتاوى نور على الدرب للعثيمين (٧/ ٢). فتاوى نور على الدرب، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ).



وأخيرًا: المحافظة على الوضوء علامة مِن علامات المؤمن: فعن عبد الله بن عمرٍو بن العاص- رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" استقيموا ولن تُحصُوا، واعلموا أنَّ مِن أفضلِ أعمالكم الصلاةَ، ولا يُحافِظ على الوضوء إلَّا مُؤمنٌ". رواه ابن ماجه(١). والحديث النبوي يُرشدُنا إلى التحلِّي بصفة من صفات المؤمن، وهي المحافظة على الوضوء، والسعي لذلك يُورث الإيمان، امتثالًا لِمَا حثَّنا عليه النبي صلى الله عليه وسلم.

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٣٧/ ٦٠) برقم (٢٢٣٧٨). وابن ماجه في سننه (١/ ١٠١) برقم (٢٧٧) كتاب الزهد باب المحافظة على الوضوء. والحديث صححه الألباني كما في إرواء الغليل (٢/ ١٣٥).

٧ شوَّال

قصَّة توبة كعب بن مالك– رضي الله عنه–

زكَّى الله تعالى الصادقين في توبتهم، ودعا المؤمنين إلى أن يكونوا معهم، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾[1]، وسجَّل لنا التاريخ في صفحاته أروع المواقف، ظهرت فيها معاني الصدق بكلِّ تجليَّاتها، والإخلاص في أبهى صوره، وحديثُنا عن الصحابي الجليل كعب بن مالك عمرو بن القين بن كعب بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري الخزرجي العقبي الأُحُدي، كان يُكنَّى في الجاهلية بأبي بشير، شهد بيعة العقبة مع النبي صلى الله عليه وسلم، وآخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين طلحة بن عُبيد الله بعد الهجرة، وقيل: آخى بينه وبينه الزبير.

تخلَّف كعب بن مالك عن غزوة تبوك، وقد عاتبه النبي صلى الله عليه وسلم، وذَكَرَه الله تعالى في القرآن الكريم، وختم بتوبته عليه؛ لصدقه في قول الحقِّ أمام النبي صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَـٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[2].

وأحداث هذه القصة يرويها الإمام مسلم في صحيحه، ضمن حديث طويل على لسان كعب بن مالك– رضي الله عنه– وهو أدرى الناس بها، أنَّه قال: لم أتخلف عن رسول الله– صلى الله عليه وسلم– في غزوة غزاها قط إلَّا في غزوة تبوك، غير أنِّي قد تخلَّفت في غزوة بدر ولم يُعاتِبْ أحدًا تخلَّف عنها، لأنهم خرجوا يريدون عير قريش، ولقد شهدتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حين تواثقنا على الإسلام، وما أحبُّ أنَّ لي بها مشهد بدر، وإن كانت بدر أذكر في الناس منها.

قال العلَّامة ابن عثيمين– رحمه الله–: هذا حديث كعب بن مالك، في قصَّة تخلُّفه عن غزوة تبوك، وكانت غزوة تبوك في السنة التاسعة من الهجرة، غزا النبي صلى الله عليه وسلم الروم وهم على دين النصارى، حين بلغه أنَّهم يجمعون له، فغزاهم النبي صلى الله عليه وسلم وقام بتبوك عشرين ليلة، ولكنَّه لم يَرَ كيدًا، ولم يَرَ عدوًّا، فرجع، وكانت هذه الغزوة في أيام الحرِّ حين طابت الثمار، وصار

---

(١) التوبة: ١١٩.

(٢) التوبة: ١١٨.



المنافقون يُحِبُّون الدنيا على الآخرة، فتخلَّف المنافقون عن هذه الغزوة، ولجأوا إلى الظلِّ والرطب والتمر، وبعُدتْ عليهم الشُّقَّة، والعياذ بالله.

نعود إلى حديث كعب فيقول: فلما رجع صلى الله عليه وسلم جاءه المخلَّفون، فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له، وكانوا بضعة وثمانين رجلًا، فقبِل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم وبايَعَهم واستغفرَ لهم، ووكَّلَ سرائرهم إلى الله، فجئتُه، فلمَّا سلَّمتُ عليه تبسَّم تبسُّم المغضَب. ثم قال: تعال، فجئتُ أمشي حتَّى جلستُ بين يديه، فقال لي: ما خلَّفكَ؟ ألم تكن قد ابتعتَ ظهركَ؟ فقلتُ: بلى، إنِّي واللهِ لو جلستُ عند غيرك من أهل الدنيا لرأيتُ أن أخرج من سخطه بعذر، ولقد أُعطيتُ جدلًا، ولكنِّي واللهِ لقد علمتُ لئن حدَّثتُك اليوم حديث كذبٍ، ترضى به عنِّي؛ ليوشكنَّ اللهُ أن يُسخِطَكَ عليَّ، وإن حدَّثتُك حديث صدْقٍ تَجِدُ عليَّ فيه؛ إنِّي لأرجو فيه عفو الله، واللهِ ما كان لي من عذر، واللهِ ما كنتُ قطُّ أقوى ولا أيسر منِّي حين تخلَّفتُ عنك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمَّا هذا فقد صَدَقَ، فقُمْ حتَّى يقضي الله فيك. فقمتُ وقام رجالُ بني سلمة، فاتَّبعوني فقالوا لي: واللهِ ما علمناكَ كنتَ أذنبتَ ذنبًا قبل هذا، لقد عجزتَ أن لا تكون اعتذرتَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر إليه المتخلِّفون، فقد كان كافيك ذنبك استغفارُ رسول الله صلى الله عليه وسلم لك. فواللهِ مازالوا يُؤنِّبوني حتَّى أردتُ أن أرجع فأُكذِّب نفسي، ثم قلتُ لهم: هل لقي هذا معي أحدٌ، قالوا: نعم، رجلانِ قالا مثلما قلتَ، فقيل لهما مثلما قيل لك، فقلتُ: مَن هما؟، قالوا: مرارة بن الربيع العمري، وهلال بن أمية الواقفي، فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرًا، فيهما أسوة، فمضيتُ حين ذكروهما، ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا أيُّها الثلاثة مِن بينِ مَن تخلَّف عنه، فاجتنبَنا الناس، وتغيَّروا لنا، حتَّى تنكَّرتْ في نفسي الأرضُ فما هي التي أعرف، فلبثْنا على ذلك خمسين ليلة، فأمَّا صاحباي فاستكانا فقعدا في بيتهما يبكيان. وأنا فقد كنتُ أشب القوم وأجلدهم، فكنتُ أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين، وأطوف في الأسواق، ولا يُكلِّمني أحدٌ، وآتي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأُسلِّم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة، فأقول في نفسي: هل حرَّك شفتَيْه بِرَدِّ السلام أم لا ؟ ثم أُصلِّي قريبًا منه، فأسارقه النظر، فإذا أقبلتُ على صلاتي أقبل إليَّ، وإذا التفتُّ نحوه أعرض عنِّي، حتَّى إذا طال عليَّ ذلك من جفوة الناس؛ مشيتُ حتَّى تسوَّرتُ جدار أبي قتادة، وهو ابن عمِّي، وأحبُّ الناس إليَّ فسلَّمتُ عليه، فواللهِ ما ردَّ عليَّ السلام، فقلتُ: يا أبا قتادة؛ أنشدكَ بالله هل تعلمُني أُحبُّ الله ورسوله، فسكتَ، فعاودتُ أنشده،



فقال: الله ورسوله أعلم، ففاضتْ عيني وتوليَّتُ، حتَّى تسوَّرتُ الجدار. قال: فبينما أنا أمشي بسوق المدينة، إذا بنبطي من أنباط أهل الشام، ممَّن قدم بالطعام ليبيعه في المدينة، يقول: مَن يدلُّ على كعب بن مالك؟ فطفق الناس يُشيرون له، حتَّى إذا جاءني دفع إليَّ كتابًا من ملك غسان، فإذا فيه: أمَّا بعد؛ فإنَّه قد بلغني أنَّ صاحبك قد جفاك، ولم يجعلْك الله بدارِ هوانٍ ولا مضيعة، فالْحقْ بنا نواسيك، فقلتُ لما قرأتُها: وهذا أيضًا من البلاء، فتيمَّمتُ بها التَّنُّور فسجرتُه بها. حتَّى مضتْ أربعون ليلة من الخمسين، إذا برسول رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيني فيقول لي: إنَّ رسول الله يأمرُكَ أن تعتزل امرأتك، فقلتُ له: أُطلِّقها أم ماذا أفعل؟ فقال: بل اعتزلْها ولا تقربْها، وأرسلَ إلى صاحبَيَّ مثل ذلك، فقلتُ لامرأتي: الْحقي بأهلك، فتكوني عندهم، حتَّى يقضي الله في ذلك الأمر؛ فلبثتُ بعد ذلك عشر ليال، حتَّى كمُلتْ لنا خمسون ليلة، فلمَّا صلَّيتُ صلاة الفجر صُبح خمسين ليلة، وأنا على ظهر بيتٍ من بيوتنا، جالسٌ على الحال التي ذكر الله، وقد ضاقتْ عليَّ نفسي، وضاقتْ عليَّ الأرض بما رحُبتْ سمعتُ صوت صارخ، أو في أعلى جبل سلع بأعلى صوته: يا كعب بن مالك؛ أبشر. قال: فخررتُ ساجدًا. رواه البخاري(١).

وأخيرًا وإتمامًا للفائدة في هذا الحديث: نقف على بعض الفوائد التي ذكرها الإمام النووي في شرحه على صحيح مسلم حيث يقول: واعلم أنَّ في حديث كعب هذا فوائد كثيرة:

إحداها: إباحة الغنيمة لهذه الأُمَّة لقوله: خرجوا يريدون عير قريش.

الثانية: فضيلة أهل بدر وأهل العقبة.

الثالثة: جواز الحلف من غير استحلاف في غير الدعوى عند القاضي.

الرابعة: أنَّه ينبغي لأمير الجيش إذا أراد غزوة أن يُوري بغيرها، لئلا يسبقه الجواسيس ونحوهم بالتحذير إلَّا إذا كانت سفرة بعيدة، فيُستحبُّ أن يُعرِّفهم البُعد ليتأهَّبوا.

الخامسة: التأسُّف على ما فات من الخير وتمنِّي المتأسِّف أنَّه كان فعله؛ لقوله: فيا ليتنى فعلتُ.

السادسة: ردُّ غيبة المسلم لقول معاذ: بئس ما قلتَ.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٦/ ٣) برقم (٤٤١٨) كتاب المغازي باب حديث كعب بن مالك، وقول الله عز وجل: {وعلى الثلاثة الذين خلفوا} [التوبة: ١١٨]. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢١٢٠) برقم (٢٧٦٩) كتاب التوبة باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه.

السابعة: فضيلة الصدق وملازمته، وإن كان فيه مشقَّة، فإنَّ عاقبته خير،" فإنَّ الصدقَ يهدي إلى البرِّ، وإنَّ البرَّ يهدي إلى الجنةِ". رواه البخاري ومسلم(١).

الثامنة: استحباب صلاة القادم من سفرٍ ركعتين في مسجد محلَّته أوَّل قدومه قبل كل شيء.

التاسعة: أنَّه يُستحبُّ للقادم من سفرٍ إذا كان مشهورًا يقصده الناس لسلامٍ عليه؛ أن يقعد لهم في مجلسٍ بارزٍ هيِّنٍ الوصول إليه(٢).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٢٥) برقم (٦٠٩٤) كتاب الأدب باب قول الله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين} [التوبة: ١١٩] وما ينهى عن الكذب. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠١٢) برقم (٢٦٠٧) كتاب البر والصلة والآداب باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله.

(٢) ينظر: شرح النووي على مسلم (١٧/ ١٠٠).

٨ شوَّال

حقُّ الزوجِ على الزوجة

تُعدُّ حقوق الزوج على الزوجة من أعظم الحقوق، بل إنَّ حقَّه عليها أعظم من حقِّها عليه؛ لقول الله تعالى : ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾(١) .

قال الشيخ السعدي- رحمه الله-: أي: وللنساء على بُعولتهنَّ من الحقوق واللوازم مثل الذي عليهنَّ لأزواجهنَّ من الحقوق اللازمة والمستحبَّة، ومرجع الحقوق بين الزوجين يرجع إلى المعروف، وهو العادة الجارية في ذلك البلد وذلك الزمان من مثلها لمثله، ويختلف ذلك باختلاف الأزمنة والأمكنة، والأحوال والأشخاص والعوائد، وفي هذا دليلٌ على أنَّ النفقة والكسوة، والمعاشرة والمسكن، وكذلك الوطء، الكلُّ يرجع إلى المعروف، فهذا موجب العقد المطلَق، وأمَّا مع الشرط فعلى شرطهما إلَّا شرطًا أحلَّ حرامًا أو حرَّم حلالًا(٢).

ذكر الإمام القرطبي عن ابن عبَّاس- رضي الله عنهما: لهنَّ من حُسن الصحبة والعشرة بالمعروف على أزواجهنَّ مثل الذي عليهنَّ من الطاعة فيما أوجبه عليهنَّ لأزواجهنَّ، وقيل: إنَّ لهنَّ على أزواجهنَّ ترْك مُضارتِهنَّ كما كان ذلك عليهنَّ لأزواجهنَّ(٣).

ومن حقوق الزوج على زوجته ما يأتي:

١- طاعة الزوج: وتكون الطاعة فيما يتَّفق مع مرضاة الله وأوامره، فلا تكون الطاعة في سخط الله وغضبه ومُحرَّماته، ومن وجوه طاعة الزوج: تلبيته إذا دعاها لفراشه، والسفر معه والترحال ما لم يكن منفيًا حين العقد عليها، ولزوم بيته ما لم يأذن لها بالخروج، واستئذانه في صوم النوافل حتَّى لا يتأذَّى لحاجته.

٢- حفْظُهُ في ماله ونفسها: وهذا الحق من صلاح المرأة وحُسْن دينها وخُلُقها، وفيه وصفٌ رقيقٌ في آيات القرآن الكريم؛ إذ يقول الله تعالى: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾(٤)، وفي الآية إشارة لحق الزوج على زوجته في الطاعة وحفْظ نفسها وماله حال غيابه،

---

(١) البقرة: ٢٢٨.

(٢) تفسير السعدي (ص: ١٠٢).

(٣) تفسير القرطبي (٣/ ١٢٤).

(٤) النساء: ٣٤.



ويدلُّ التزامُها بذلك الحقِّ على استقامتها وخيرها وديمومة طاعتها، ويترتَّب على ذلك عون الله لها وتوفيقه، وحفْظها من المعاصي والآثام؛ لما ظهر من حُسْن معاشرتها وصفاء نيَّتها واستقامتها.

٣- خدمة الرجل في منزله من صور طاعة الزوجة وقنوتها، وقنوتها يكون بمنع نفسها عن غيره مطلقًا، فلا ينشغل قلبُها وعقلُها ووقتُها بغيره، وتفانيها في كسب رضاه فيما أحلَّ الله وأوجب، وأن يكون زوجُها أهمَّ ما يشغلها وأوَّلَه، وفيما بعده أهلها بعد إذنه، وفي ذلك أنَّها موقوفة عليه وحده، وهي بذلك قانتة صالحة. قال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله-: وتجب خدمة زوجها بالمعروف من مثلها لمثله، ويتنوَّع ذلك بتنوُّع الأحوال؛ فخدمة البدويَّة ليست كخدمة القرويَّة، وخدمة القويَّة ليست كخدمة الضعيفة[١].

٤- كذلك من حقِّه التأديب: وإن كان الأصل في العلاقة بين الزوجين التراحُم والتوادُّ، ولكن يحقُّ للزوج تأديب زوجته عند مخالفة أوامره والإصرار على العناد؛ ويكون ذلك بالحُسنى بحيث يعظُها بالقول، ولا يصل الأمر إلى الضرب المبرِّح أو الشتم لا قدَّر اللهُ.

وقد ذكر الحنفية أربعة مواضع يجوز فيها للزوج تأديب زوجته بالضرب، منها: ترْك الزينة إذا أراد الزينة، ومنها: ترْك الإجابة إذا دعاها إلى الفراش وهي طاهرة، ومنها: ترْك الصلاة، ومنها: الخروج من البيت بغير إذنه[٢]. قال تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ﴾[٣].

قال ابن كثير: قال قتادة: تأمرهم بطاعة الله، وتنهاهم عن معصية الله، وأن تقوم عليهم بأمْر الله، وتأمرهم به، وتساعدهم عليه، فإذا رأيتَ لله معصية قذعتَهم (أي كففتَهم) عنها، وزجرتَهم عنها[٤].

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٣٤/ ٩٠). مجموع الفتاوى، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

(٢) ينظر: تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق (٣/ ٢١١). تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشِّلْبِيِّ، المؤلف: عثمان بن علي بن محجن البارعي، فخر الدين الزيلعي الحنفي (المتوفى: ٧٤٣ هـ)، الحاشية: شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن يونس بن إسماعيل بن يونس الشِّلْبِيُّ (المتوفى: ١٠٢١ هـ)، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية - بولاق، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٣١٣هـ.

(٣) النساء: ٣٤.

(٤) تفسير ابن كثير (٨/ ١٦٧). تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.



٥- اهتمام الزوجة بنفسها: فتكون في بيته ملكة تسرُّه إذا نظر إليها، فعن أبي هريرة- رضي الله عنه: قيل لرسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم: أيُّ النساءِ خيرٌ؟ قال: التي تسرُّه إذا نظر، وتطيعُه إذا أَمَرَ، ولا تُخالفُه في نفسِها ومالِها بما يكره" رواه النسائي وأحمد(١).

فيلزم عليها بذلك التطيُّب والتجمُّل بما يجعلها حسنة المنظر والمظهر، ثم تُولِي نفسها وبيتها وأولادها اهتمامًا يُرضيه، ولا تُطالبه بما لا يُطيق ولا يحتمل، ثم إن كان منه أذى فإنَّها تصبر على أذاه، فتكون قد أوفتْه حقَّه، ولزمتِ الخير وعملتْ به.

٦- ومن ذلك تمكين الزوج من الاستمتاع، فإذا تزوَّج امرأةً وكانت أهلًا للجماع؛ وجب تسليم نفسها إليه بالعقد إذا طلب، وذلك أن يُسلِّمَها مهرها المعجَّل، وتُمهَل مُدَّة حسب العادة لإصلاح أمرها كاليومين والثلاثة إذا طلبت ذلك؛ لأنَّه مِن حاجتها، ولأنَّ ذلك يسيرٌ جرتِ العادة بمثله، وإذا امتنعت الزوجة من إجابة زوجها في الجماع وقعتْ في المحذور وارتكبتْ كبيرة، إلَّا أن تكون معذورة بعذر شرعي؛ كالحيض وصوم الفرض والمرض وما شابه ذلك؛ لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إذا دعا الرجلُ امرأتَه إلى فراشه فأبتْ، فباتَ غضبان عليها؛ لعنتْها الملائكةُ حتَّى تُصبح ". رواه البخاري ومسلم(٢).

٧- حفْظ أسرار الزوج وحفْظه في بيته: فلا يجوز للزوجة إدخالُ أيِ أحدٍ لا يأذن زوجها بدخوله، لا جارة، ولا قريبة، وعليها أن تستأذنه في ذلك، يقول صلى الله عليه وسلم:" لا يحلُّ للمرأة أن تصوم وزوجها شاهدٌ إلَّا بإذنه، ولا تأذن في بيته إلَّا بإذنه". رواه البخاري ومسلم(٣).

وقال الشافعية(٤) والحنابلة(٥): ليس لها الخروج لعيادة أبيها المريض إلَّا بإذن الزوج، وله منعها من ذلك؛ لأنَّ طاعة الزوج واجبة، فلا يجوز ترْك الواجب بما ليس بواجب، وعليها أيضًا أن تُؤدِّي الأمانة

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١٥/ ٣٦٠) برقم (٩٥٨٧). والنسائي في السنن الكبرى (٥/ ١٦١) برقم (٥٣٢٤) كتاب النكاح، أي النساء خير. والحديث حسنه الألباني كما في إرواء الغليل (٦/ ١٩٧).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١١٦) برقم (٣٢٣٧) كتاب بدء الخلق باب إذا قال أحدكم: آمين والملائكة في السماء، آمين [ص:١١٤] فوافقت إحداهما الأخرى، غفر له ما تقدم من ذنبه. ومسلم في صحيحه (٢/ ١٠٦٠) برقم (١٤٣٦) كتاب النكاح باب تحريم امتناعها من فراش زوجها.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٧/ ٣٠) برقم (٥١٩٥) كتاب النكاح باب لا تأذن المرأة في بيت زوجها لأحد إلا بإذنه. ومسلم في صحيحه (٢/ ٧١١) برقم (١٠٢٦) كتاب الزكاة باب ما أنفق العبد من مال مولاه.

(٤) ينظر: البيان في مذهب الإمام الشافعي (٩/ ٥٠٠). البيان في مذهب الإمام الشافعي، المؤلف: أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي (المتوفى: ٥٥٨هـ)، المحقق: قاسم محمد النوري، الناشر: دار المنهاج – جدة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ- ٢٠٠٠ م.

(٥) ينظر: المغني لابن قدامة (١٠/ ٢٢٤)؛ الشرح الكبير على المقنع (٢١/ ٤٢١). الشرح الكبير (المطبوع مع المقنع والإنصاف)، المؤلف: شمس الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٨٢ هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي – الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة – جمهورية مصر العربية، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.



في حفْظ أسرار زوجها، وعدم بوحها وكشْفها، فهذا من شرِّ الأعمال، يقول صلى الله عليه وسلم:" إنَّ مِن أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ مَنْزِلَةً يومَ القِيَامَةِ، الرَّجُلَ يُفْضِي إلى امْرَأَتِهِ، وَتُفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا". رواه مسلم(١).

ختامًا: جعل الله سبحانه وتعالى الزواج علاقة سامية بين الرجل وزوجته، وجعل لكلٍّ منهما حقًّا على الآخر، وواجبًا تجاه هذا الميثاق الغليظ، فلا يجب التهاون به أو التقصير فيه. وليس أدلَّ على عِظَمِ حقِّ الزوج على زوجته من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم:" لو كنتُ آمِرًا أحدًا أن يسجد لأحدٍ لأمرتُ المرأة أن تسجد لزوجها". رواه الترمذي(٢).

يقول الشاعر ناصحًا النساء ومُوضِّحًا لهن بعض حق الزوج:

كَلَّا ولَنْ تَقْضِي حُقُوقَ اللهِ فِـي ... هَذِي الدِّيَارِ وتَعْمُرِي أُخْـرَاكِ
حَتَّى تُؤَدِّي حَقَّ زَوْجِكِ كَامِـلًا ... فَمَتَى فَعَلْتِ حُمِدْتِ فِي عُقْبَـاكِ
لَوْ كَانَ يُؤْذَنُ فِي السُّجُودِ لِمُحْدَثٍ ... لَهَوَى بِدَارًا لِلثَّـرَى كَتِفَاكِ(٣)

(١) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ١٠٦٠) برقم (١٤٣٧) كتاب النكاح باب تحريم إفشاء سر المرأة.

(٢) رواه أحمد في مسنده (٤١/ ١٩) برقم (٢٤٤٧٢). وأبو داود في سننه (٢/ ٢٤٤) برقم (٢١٤٠) كتاب النكاح باب في حق الزوج على المرأة؛ والترمذي في جامعه (٣/ ٤٥٧) برقم (١١٥٩) أبواب الرضاع باب ما جاء في حق الزوج على المرأة. والحديث حسنه الألباني كما في إرواء الغليل (٧/ ٥٤).

(٣) لم أقف على قائلها.

٩ شوَّال

حقُّ الزوجة على الزوج

قال الله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(١)، ولضمان حصول المودَّة والرحمة، وتحقُّق وجود السكينة؛ فرض الله على كلٍّ منهما حقوقًا يُؤدِّيها للطرف الآخَر، كما أنَّ له حقوقًا، ذكرنا قبلُ حقَّ الزوج على زوجته، وهنا نتحدَّث عن حقِّ الزوجة على زوجها:

١- حُسْن العِشْرَة والمعامَلة: قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾(٢)، وهذا ما يجب على الزوج لزوجته من إكرامها، وحُسْن مُعاشرتها، وأن يُعاملها بالمعروف، وهذا يُؤدِّي إلى تأليف قلوبهما، وهذا الحقُّ إذا أدَّاه الرجل كما أمَرَ الشرعُ؛ سيزيد من الأُلفة والاجتماع، وثبتَ هذا الحقُّ أيضًا في السنة النبوية الشريفة، بمُعاملة النساء خيرًا؛ لقوله صلى الله عليه وسلم:" استوصوا بالنساء خيرًا". رواه البخاري ومسلم(٣)، وقال صلى الله عليه وسلم:" خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأهلِهِ، وأنا خَيْرُكُمْ لأهلِي". رواه الترمذي(٤)، وحُسْن العِشْرَة لفظٌ جامعٌ ترجع إليه جميع الحقوق.

٢- أن يُعلِّمَها أمور دينها، ويَحُثَّها على الطاعة؛ تطبيقًا لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾(٥).

٣- يجب على الزوج أن يتلطَّف مع زوجته، ولْيكنْ له في رسول الله صلى الله عليه وسلم الأُسوة الحسنة في ذلك؛ فقد حدَّثتْ أم المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- قالت:" لَقَدْ رَأَيْتُ رَسولَ اللَّهِ- صلى الله عليه وسلم- يَوْمًا علَى بَابِ حُجْرَتي والحَبَشَةُ يَلْعَبُونَ في المَسْجِدِ، ورَسولُ اللَّهِ

---

(١) الروم: ٢١.

(٢) النساء: ١٩.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٧/ ٢٦) برقم (٥١٨٥) كتاب النكاح باب الوصاة بالنساء. ومسلم في صحيحه (٢/ ١٠٩١) برقم (١٤٦٨) كتاب الرضاع باب الوصية بالنساء.

(٤) رواه الترمذي في جامعه (٥/ ٧٠٩) برقم (٣٨٩٥) أبواب المناقب باب في فضل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم. وابن ماجه في سننه (١/ ٦٣٦) برقم (١٩٧٧) كتاب النكاح باب حسن معاشرة النساء. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٥٧٥).

(٥) التحريم: ٦.



صلى الله عليه وسلم يَسْتُرُنِي بردَائِهِ، أَنْظُرُ إلى لَعِبِهِمْ". رواه البخاري[١]. وقد سابقها صلى الله عليه وسلم في سفَرٍ فسبقتْهُ، فلمَّا حَملتِ اللَّحمَ سابقتْهُ فسبَقَها، فقالَ: هذِهِ بتلكَ. أخرجه أبو داود وابن ماجه وأحمد[٢].

وأن يتغزَّل فيها ويمدحها ويغار عليها في غير ريبة، ينسب إلى عليّ بن أبي طالب أنه قال مُتغزِّلًا في زوجه فاطمة- رضي الله عنهما-، وقد رآها تستاك بسواك من أراك:

لقدْ فُزتَ يا عُودَ الأراكِ بثغرِها ... أمَا خِفتَ يا عُودَ الأراكِ أرَاكَا

لوْ كنتَ مِنْ أهلِ القتالِ قتلتُكَ ... مَا فَازَ مِنِّي يَا سِواكُ سِوَاكَا[٣]

٤- أن يغُضَّ الطرف عن بعض أخطائها- ما لم يكن فيه إخلال بشرع الله-: وهذا لا يكون إلَّا من خلال الموازنة بين حسناتها وسيِّئاتها، فإن رأى منها ما يكره؛ فإنَّه يرى منها ما يُعجبه ويُحبُّه. وإلى هذا يُشير النبي صلى الله عليه وسلم بقوله:" لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إنْ كَرِهَ منها خُلُقًا رَضِيَ منها آخَرَ، أَوْ قالَ: غَيْرَهُ". رواه مسلم[٤].

٥- ألَّا يؤذيها بضربها في وجهها أو تقبيحها: فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم:" ولا تُقبِّحِ الوجْهَ ولا تضرِبْ". رواه أبو داود[٥]. وألَّا يهجر زوجته إلَّا في البيت، إلَّا أن تكون هناك مصلحة شرعيَّة في الهجر خارج البيت، كما هجر النبيُّ صلى الله عليه وسلم أزواجَه شهرًا في غير بيوتهنَّ.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٩٨) برقم (٤٥٤) كتاب الصلاة باب أصحاب الحراب في المسجد. ومسلم في صحيحه (٢/ ٦١٠) برقم (٨٩٢) كتاب صلاة العيدين باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه في أيام العيد.

(٢) رواه أحمد في مسنده (٤٣/ ٣١٣) برقم (٢٦٢٧٧). وأبو داود في سننه (٣/ ٢٩) برقم (٢٥٧٨) كتاب الجهاد باب في السبق على الرجل. والنسائي في السنن الكبرى (٨/ ١٧٨) برقم (٨٨٩٤) كتاب عشرة النساء، مسابقة الرجل زوجته. والحديث صححه الألباني كما في إرواء الغليل (٥/ ٣٢٧).

(٣) ينظر: النعت الأكمل لأصحاب الإمام أحمد بن حنبل (ص: ٦١) ولم ينسبه لعلي رضي الله عنه. النعت الأكمل لأصحاب الإمام أحمد بن حنبل [من سنة ٩٠١ - ١٢٠٧ هـ]، المؤلف: محمد كمال الدين بن محمد الغزي العامري (ت: ١٢١٤هـ)، وعليه: زيادات واستدراكات حتى نهاية القرن الرابع عشر الهجري، تحقيق وجمع: محمد مطيع الحافظ - نزار أباظة، الناشر: دار الفكر، دمشق – سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

(٤) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ١٠٩١) برقم (١٤٦٩) كتاب الرضاع باب الوصية بالنساء.

(٥) رواه أحمد في مسنده (٣٣/ ٢١٣) برقم (٢٠٠١١). وأبو داود في سننه (٢/ ٢٤٥) برقم (٢١٤٣) كتاب النكاح باب في حق المرأة على زوجها. والنسائي في السنن الكبرى (٨/ ٢٦٠) برقم (٩١١٥) كتاب عشرة النساء، هجرة الرجل امرأته. وابن ماجه في سننه (١/ ٥٩٣) برقم (١٨٥٠) كتاب النكاح باب حق المرأة على زوجها. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/ ٣٠١).

٦- أن يجلس مع زوجته يُحدِّثها ويستمع إلى حديثها: فهذا النبي صلى الله عليه وسلم كان يجلس مُستمِعًا إلى أمِّ المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- عندما كانت تقصُّ عليه حديث النسوة اللاتي جلسنَ وتعاقدنَ على ألَّا يكتمنَ من خبر أزواجهنَّ شيئًا- وهو حديث أم زرع المعروف- وهو حديث طويل، ومع ذلك لم يملَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عائشة- رضي الله عنها- وهي تُحدِّثه؛ والحديث عند البخاري ومسلم(١).

٧- أن يأذن لها في الخروج إن استأذنتْه في ذلك، وألَّا يمنعها من الخروج إلَّا إذا لم يأمن من ذلك الخروج؛ كتعرُّضها للفتنة، وكذلك ألَّا يمنعها من الخروج لشهود الجماعة، أو صلة الرحم.

٨- أن يتزيَّن الرجل لزوجته كما تتزيَّن له: قال ابن عبَّاس- رضي الله عنهما-: إنِّي لَأُحبُّ أن أتزيَّن للمرأة كما أُحبُّ أن تتزيَّن لي؛ لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾(٢)(٣)؛ أي: لهُنَّ من حُسْن الصحبة والعِشْرة بالمعروف على أزواجهنَّ؛ مثلُ الذي عليهنَّ لهم من الطاعة فيما أوجب الله تعالى ذِكْره له عليها.

٩- أن يعفَّها: فيجب أن تنال الزوجةُ من زوجها اللذَّة كما ينال منها، ولذا أرشد النبي- صلى الله عليه وسلم عثمان بن مظعون- رضي الله عنه- إلى ما لأهله عليه من الحقِّ، لما انقطع عنهم إلى العبادة، فقال صلى الله عليه وسلم:" وإنَّ لِزَوْجِكَ عليكَ حقًّا". رواه البخاري(٤).

ووطء المرأة واجبٌ في أظهر أقوال العلماء، وهذا ما ذهب إليه أبو حنيفة(٥) وأحمد(٦)، واختاره شيخ الإسلام(٧)، لكن يسقط هذا الحقُّ إن سافر الرجل عن زوجته لعذر وحاجة.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٧/ ٢٧) برقم (٥١٨٩) كتاب النكاح باب حسن المعاشرة مع الأهل. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٩٦) برقم (٢٤٤٨) كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم باب ذكر حديث أم زرع.

(٢) البقرة: ٢٢٨.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٤/ ١٩٦) برقم (١٩٢٦٣). الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، المؤلف: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ)، المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩.

(٤) رواه عن عبد الله بن عمرو: البخاري في صحيحه (٣/ ٣٩) برقم (١٩٧٥) كتاب الصوم باب حق الجسم في الصوم. ومسلم في صحيحه (٢/ ٨١٣) برقم (١١٥٩) كتاب الصيام باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت به حقا أو لم يفطر العيدين والتشريق، وبيان تفضيل صوم يوم، وإفطار يوم. والحديث الذي خاطب فيه النبي صلى الله عليه وسلم عثمان بن مظعون رواه ابن حبان في صحيحه (٢/ ١٩) برقم (٣١٦) بلفظ "وإن لأهلك عليك حقًا". والحديث صححه الألباني كما في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (١/ ٣٥٧).

(٥) ينظر: الدر المختار وحاشية ابن عابدين (٣/ ٢٠٢). رد المحتار على الدر المختار، المؤلف: ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي (المتوفى: ١٢٥٢هـ)، الناشر: دار الفكر-بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

(٦) ينظر: الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف للمرداوي (٨/ ٣٥٤). الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، المؤلف: علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي الدمشقي الصالحي الحنبلي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الثانية - بدون تاريخ.

(٧) ينظر: مجموع الفتاوى (٣٢/ ٢٧١).

١٠- أن يعدل بينها وبين ضُرَّتِها- إن كان لها ضُرَّة-: لقوله تعالى:﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ﴾[١]، وإن لم يستطع الرجلُ العدْلَ، أو خاف ألَّا يعدل؛ فلْيقتصرْ على واحدة؛ لقوله تعالى:﴿ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً ﴾.

١١- النفقة والكسوة والسكن بالمعروف: والمقصود بالنفقة ما يُنفقه الزوج على زوجته وأولاده؛ من الطعام والكسوة والسكن وغيره، وهذه النفقة واجبة على الزوج بالكتاب والسُّنَّة والإجماع.

أمَّا الأدلَّة؛ فمن القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ فَلۡيُنفِقۡ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا ﴾[٢]؛ ومن السُّنَّة النبويَّة قول النبي صلى الله عليه وسلم:"ولهُنَّ عليكم رزقُهُنَّ وكسوتُهُنَّ بالمعروف" رواه مسلم[٣]، ومن الإجماع اتِّفاق أهل العلم على وجوب نفقة الزوجة على زوجها.

وفي الختام: إنَّ هذه العلاقة بين الزوج والزوجة يجب أن تقوم على أساس التفاهُم والتعاطُف والفهْم، من أجل تلبية الحاجات الفطريَّة؛ النفسيَّة، والعقليَّة، والجسديَّة، وبهذا يكون السكن والاكتفاء والمودَّة والرحمة؛ من أجل إنشاء أسرة جديدة، تتجسَّد واقعًا في أجيال جديدة، وواللهِ لن ينشأ هذا المجتمع المسلم الذي أراده الإسلام لعمارة هذه الأرض إلَّا من خلال تطبيق هذا واقعًا في حياة المسلمين.

---

(١) النساء: ٣.

(٢) الطلاق: ٧.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٨٨٦) برقم (١٢١٨)كتاب الحج باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم.



١٠ شوَّال

سورة في كتاب الله شفعت لصاحبها (تبارك الذي بيده الملك)

سورة الملِك من السور المكيَّة الخالصة، ومن السور ذات الأسماء المتعدِّدة، قال الإمام الآلوسى: وتُسمَّى تبارك، والمانعة، والمنجية، والمجادِلة[١]؛ فعن ابن مسعود- رضي الله عنه- قال:" كنَّا نُسَمِّيها في عهدِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم المانِعَةَ، وإنَّها في كتابِ اللهِ سورةٌ؛ مَنْ قَرَأَها في ليلِهِ فقدْ أكثرَ وأَطْيَبَ. أيْ سورةُ تبارَكَ". أخرجه النسائي[٢].

وكان نزولها بعد سورة المؤمنون، وقبل سورة الحاقَّة، وعدد آياتها ثلاثون آية.

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يتمنَّى أنَّها في قلب كلِّ إنسان من أُمَّته؛ فقد جاء عن ابن عبَّاس- رضي الله عنهما- أنَّه قال لرجلٍ: ألا أطرفك بحديثٍ تفرَح به؟ قال: بلى يا ابن عبَّاس، يرحمك الله. قال: اقرأ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ﴾[٣]، فاحفظْها، وعلِّمْها أهلك، وجميع ولدك، وصبيان بيتك، وجيرانك؛ فإنَّها المنجية، وهي المجادِلة، تُجادِل وتُخاصِم يوم القيامة عند ربِّها لقارئها، وتطلب إلى ربِّها أن يُنجيه من النار إذا كانتْ في جوفه، ويُنجي الله بها صاحبَها من عذاب القبر. قال ابن عبَّاس- رضي الله عنهما-: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-:" لَوَدِدْتُ أَنَّهَا فِي قَلْبِ كُلِّ إِنْسَانٍ مِنْ أُمَّتِي". يَعْنِي: تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ". أخرجه الطبراني[٤].

وهذا إرشاد منه صلى الله عليه وسلم لكلِّ مسلم أن يحفظ هذه السورة، ويُعلِّمَها أهله وجيرانه.

وعن ابن عبَّاس- رضي الله عنهما- أيضًا قال: ضرب بعض أصحاب النبي- صلى الله عليه وسلم- خباءه على قبرٍ، وهو لا يحسب أنَّه قبرُ إنسانٍ يقرأ سورة الملك حتَّى ختمها، فأتى النبيَّ صلى

---

(١) تفسير الألوسي (١٥/ ٣). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.

(٢) رواه النسائي في السنن الكبرى (٩/ ٢٦٢) برقم (١٠٤٧٩) كتاب عمل اليوم والليلة، الفضل في قراءة تبارك الذي بيده الملك. والحديث حسنه الألباني كما في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ١٩٣).

(٣) الملك: ١.

(٤) رواه عبد بن حميد في مسنده (ص ٢٠٦) برقم (٦٠٣). وروى الطبراني المرفوع منه كما في المعجم الكبير للطبراني (١١/ ٢٤١) برقم (١١٦١٦). المنتخب من مسند عبد بن حميد، المؤلف: عبد بن حميد بن نصر أبو محمد الكسي، الناشر: مكتبة السنة – القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ – ١٩٨٨، تحقيق: صبحي البدري السامرائي، محمود محمد خليل الصعيدي. المعجم الكبير، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة: الثانية.



الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله؛ ضربتُ خبائي على قبر، وأنا لا أحسب أنَّه قبر، فإذا إنسان يقرأ سورة الملك" تبارك" حتَّى ختمها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" هي المانعة، هي المنجية، تُنجيه من عذاب القبر". رواه الترمذي(١).

والسورة الكريمة زاخرة بالحديث عن أدلَّة وحدانية الله تبارك وتعالى وقدرته، وعن مظاهر فضْله ورحمته بعباده، وعن بديع خلقه في هذا الكون، وعن أحوال الكافرين، وأحوال المؤمنين يوم القيامة، وعن وجوب التأمُّل والتدبُّر في ملكوت السموات والأرض، وعن الحجج الباهرة التي لقَّنَها سبحانه لنبيِّه صلى الله عليه وسلم لكي يقذف بها في وجوه المبطلين.

ولكن لماذا نقرؤها في كلِّ ليلةٍ؟ نقرؤها للأسباب التالية:

١- اتِّباعًا للنبي صلى الله عليه وسلم: فقد جاء عن جابر- رضي الله عنه-" أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم كان لا ينام حتَّى يقرأ: آلم تنزيل، وتبارك الذي بيده الملك". رواه الترمذي(٢)، فأنتَ إذا قرأتَها تكون مُتَّبِعًا لسُنَّة النبي صلى الله عليه وسلم.

٢- هي سببٌ في الشفاعة ومغفرة الذنوب: يدلُّ على ذلك ما جاء عن النبي- صلى الله عليه وسلم- أنَّه قال:" إنَّ سورةً منَ القرآنِ ثلاثونَ آيةً؛ شفعَت لرجلٍ حتَّى غُفِرَ لَهُ، وَهيَ سورةُ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ". رواه الترمذي(٣).

٣- تُنجي من عذاب القبر: فقد كان عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه- يقول:" مَن قرأ ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ كلَّ ليلة؛ منعه الله بها من عذاب القبر، وكنا في عهد رسول الله صلى الله

---

(١) رواه الترمذي في جامعه (٥/ ١٦٤) برقم (٢٨٩٠) أبواب فضائل القرآن باب ما جاء في فضل سورة الملك. والحديث ضعفه الألباني كما في مشكاة المصابيح (١/ ٦٦٣). مشكاة المصابيح، المؤلف: محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين، التبريزي (المتوفى: ٧٤١هـ)، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٩٨٥.

(٢) رواه أحمد في مسنده (٢٣/ ٢٦) برقم (١٤٦٥٩). الترمذي في جامعه (٥/ ١٦٥) برقم (٢٨٩٢) أبواب فضائل القرآن باب ما جاء في فضل سورة الملك. والنسائي في السنن الكبرى (٩/ ٢٦١) برقم (١٠٤٧٦) كتاب عمل اليوم والليلة ذكر ما يستحب للإنسان أن يقرأ كل ليلة قبل أن ينام. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٢/ ١٣٠).

(٣) رواه أحمد في مسنده (١٣/ ٣٥٣) برقم (٧٩٧٥). الترمذي في جامعه (٥/ ١٦٤) برقم (٢٨٩١) أبواب فضائل القرآن باب ما جاء في فضل سورة الملك. والنسائي في السنن الكبرى (١٠/ ٣٠٩) برقم (١١٥٤٨) كتاب التفسير، تبارك الذي بيده الملك. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٢٤٤) برقم (٣٧٨٦) كتاب الأدب باب ثواب القرآن. والحديث حسنه الألباني كما في مشكاة المصابيح (١/ ٦٦٣).



عليه وسلم نُسمّيها المانعة، وإنَّها في كتاب الله سورة مَن قرأ بها في كلِّ ليلةٍ فقد أكثر وأطاب". رواه النسائي[١].

٤- سورة تُرسِّخ في قلب المسلم صفتَينِ من صفات الكمال التي يتَّصف بها سبحانه؛ فهو مالك الملك، وهو القادر المقتدر المتصرِّف في مُلكه وعبيده بما يشاء؛ فقد افتُتحتْ بقوله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾[٢]، ومَن يُوقن أنَّ الله تعالى هو مالك الملك، القدير على كل شيء؛ اطمأنَّ قلبُه، وهدأت نفسُه، وانصبغ بأنوار الرضا.

٥- السورة الكريمة تُخبرنا عن سبب وجودنا في هذه الحياة، وهو سؤال طالما سأل عنه الإنسان، فجاء الجواب بقوله سبحانه: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ﴾[٣]، وهنا نلاحظ أنَّ الله سبحانه لم يقلْ: أكثركم عملًا؛ لأنَّ الكثرة في ميزان الله تعالى لا تعني شيئًا ما لم تكن منضبطة بشرع الله تعالى، ويُقصَد بها وجهُه، وإنَّما قال: أيُّكم أحسن عملًا، وهو أعظم اختبار نتعرَّض له في هذه الحياة.

كما تُحدِّثُنا آيات من هذه السورة عن النهاية الحزينة المفجعة لمن أعرضَ عن الله سبحانه، ولم يستمعْ لما جاءت به الرسل، ولم يعقل سبب وجوده في هذه الحياة، في مشهدٍ مُؤثِّرٍ للنار بشهيقها وتغيُّظها، وتقريع خزنتها للمُعرضين والمكذِّبين، وهو نافعٌ لمن تأمَّله واصطحبه في ذهنه في ليله ونهاره حذرًا من هذه النهاية المؤلمة؛ قال تعالى: ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ إِذَآ أُلۡقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقٗا وَهِيَ تَفُورُ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۖ كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ﴾[٤].

وفي الختام؛ فقد ورد سؤال إلى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء؛ يقول: هل قراءة سورة الملك كلَّ ليلةٍ تشفع لصاحبها عند الموت؟

فأجابت اللجنة: هذا الحديث عن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" سورة من القرآن ثلاثون آية تشفع لصاحبها حتى غفر له؛ ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ﴾". رواه أحمد. قال المنذري في مختصره: أخرجه النسائي وابن ماجه، وقال الترمذي: حديث حسن، لكن في سنده ضعف، وعلى هذا يُرجى لمن آمَنَ بهذه السورة، وحافَظَ على قراءتها وابتغاء وجه الله؛ مُعتبِرًا بما فيها من العِبَر والمواعظ، عامِلًا بما فيها من أحكام؛ أن تشفع له[٥].

---

(١) تقدم تخريجه في أول هذه الفائدة.

(٢) الملك: ١.

(٣) الملك: ٢.

(٤) الملك: ٦- ٨.

(٥) فتاوى اللجنة الدائمة (٤/ ٣٣٤). فتاوى اللجنة الدائمة – المجموعة الأولى، المؤلف: اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش.



كما سُئل فضيلة الشيخ صالح بن فوزان: ما هي الفضائل التي وردتْ في سورة الملك؟ فأجاب فضيلته: سورة الملك سورة عظيمة، وردَ في فضْلها أحاديث، منها ما رواه أهل السُّنن الأربع: أنَّ رجلًا قرأ سورةً من ثلاثين آية شفعتْ له، وورد أنَّ سورة الملك أيضًا قراءتها تقي من عذاب القبر، أو ما هذا معناه، وفيها فضْل، وفيها ثواب عظيم؛ لما تشتمل عليه من المعاني العظيمة التي أنزلها الله تعالى فيها، فهي سورة عظيمة، وورد في تلاوتها هذا الفضْل الذي ذكره النبي صلى الله عليه وسلم(١).

وعن ابن مسعود- رضي الله عنه- أنَّه قال: يُؤتى الرجلُ في قبره فتُؤتى رجلاه فتقول: ليس لكم على ما قِبَلي سبيل، كان يقوم يقرأ بي سورة الملك، ثم يؤتى من قِبَل صدره فيقول: ليس لكم على ما قِبَلي سبيل، كان يقرأ بي سورة الملك، ثم يؤتى رأسه فيقول: ليس لكم على ما قِبَلي سبيل، كان يقرأ بي سورة الملك. قال: فهي المانعة تمنع من عذاب القبر، وهي في التوراة سورة المِلك، من قرأها في ليلة فقد أكثر وأطيب. أخرجه الحاكم(٢).

---

(١) مجموع فتاوى فضيلة الشيخ صالح بن فوزان (١/ ١٣٢). مجموع فتاوى فضيلة الشيخ صالح بن فوزان، المؤلف: صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان.

(٢) رواه الحاكم في مستدركه (٢/ ٥٤٠) برقم (٣٨٣٩). والحديث حسنه الألباني كما في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ١٩٢).



١١ شوَّال

ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها

الحديث عن أسماء الله الحسنى حديثٌ يأخذ بالقلوب، وينقلها من عالم الدنيا إلى عالم الآخرة؛ ليتعرَّف على أسماء الله تعالى وصفاته، فيشعر المرء بعظمة الله وسلطانه وملكه وكبريائه، وحينما نتأمَّل القرآنَ العظيم؛ نجد أنَّ أسماء الله الحسنى مذكورة في جميع السور، وأحيانًا نجد حديثًا سردًا لأسماء الله وصفاته، وحديثًا عن عظمة الله تعالى، أو تعقيبًا على آية من الآيات؛ في وعد أو وعيد، أو حكم شرعي، أو حديثًا عن المكذِّبين والضالِّين، أو عن أنبياء الله ورسله، فما من أمْرٍ وردَ أكثر في كتاب الله من الحديث عن الأسماء والصفات؛ فقد بلغ عدد أسماء الله الحسنى التي ثبتتْ في القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية أكثر من تسعةٍ وتسعين اسمًا؛ كما بيَّن ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية. وتكمُن الحكمة من عدم تعيين عدد أسماء الله الحسنى في تحفيز كلِّ مسلمٍ كي يسعى إلى الاجتهاد، ويدعو الله بالأسماء التي يعرفها جميعها؛ سواء التي ذُكِرت في القرآن، أو التي ذُكِرت في السُّنَّة.

والعلم بأسمائه تعالى وصفاته والتفقُّه فيها رأس العلم وأساسه؛ فالعلم علمان: علْمٌ بالله، وعلْمٌ بأمره وشرعه، والآخَر راجعٌ إلى الأول وصادر منه؛ فالعلم بأسمائه أصل كل معلوم؛ كما أنَّ جميع المخلوقات والموجودات والأوامر الشرعية؛ ترجع إلى معاني هذه الأسماء.

بيَّن ذلك وجلَّاه ابن القيم- رحمه الله- حيث قال: فإحصاء الأسماء الحسنى والعلْم بها أصلٌ للعلْم بكل معلوم، فإنَّ المعلومات سواه إمَّا أن تكون خَلْقًا له تعالى أو أمْرًا، إمَّا علمٌ بما كوَّنه أو علمٌ بما شرَّعه، ومصدر الخلْق والأمْر عن أسمائه الحسنى، وهما مرتبطان بها ارتباط المقتضى بمقتضيه؛ فالأمر كله مصدره عن أسمائه الحسنى، وهذا كلُّه حسنٌ لا يخرج عن مصالح العباد والرأفة والرحمة بهم والإحسان إليهم بتكميلهم بما أمرهم به ونهاهم عنه؛ فأمْره كلُّه مصلحة وحكمة ولطف وإحسان؛ إذ مصدره أسماؤه الحُسنى، وفعله كلَّه لا يخرج عن العدل والحكمة والمصلحة والرحمة؛ إذ مصدره أسماؤه الحُسنى، فلا تفاوت في خلْقه ولا عبث، ولم يخلق خلقه باطلًا ولا سدًى ولا عبثًا، فمَن أحصى أسماءه- كما ينبغي للمخلوق- أحصى جميع العلوم؛ لأنَّها من مقتضاها ومرتبطة بها، وتأمَّل صدور الخلْق والأمْر عن علمه وحكمته تعالى، ولهذا لا تجد فيها خللًا ولا تفاوتًا[1]؛ فعن أبي هريرة- رضي الله عنه- أنَّ

(١) بدائع الفوائد (١/ ١٦٣). بدائع الفوائد، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.



النبي صلى الله عليه وسلم قال:" إنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إلَّا واحِدًا، مَن أحْصاها دَخَلَ الجَنَّةَ" رواه البخاري[١]، ويُقصَد بإحصاء أسماء الله الحسنى: حِفْظُها، ومعرفة ما فيها من معانٍ، والعمل بما ورد فيها، فالعلم بأنَّ الله هو الأحد يقتضي عدم الإشراك به، وعبادته وحده، والعلم بأنَّه الرزَّاق يقتضي اليقين بأنَّ الرزق بيد الله وحده، كما يكون إحصاء الأسماء الحسنى بدعاء الله بها.

وقال الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله-: إنَّ القصد من إحصاء أسماء الله الحسنى ليست كتابتها، بل التعبُّد بها، والإحاطة بها جميعها، وفهمُها[٢].

ومن الجدير بالذكر أنَّ إحصاء أسماء الله الحسنى يكون على مراتب، أولاها: إحصاء عددها وألفاظها، وثانيها: فهْم معانيها ودلالتها، وثالثها: الدعاء بها؛ سواءً كان ذلك دعاء مسألة، أو دعاء عبادةٍ وثناءٍ على الله تعالى.

ويُعرَّف الإيمان بأسماء الله الحُسنى بأنَّه: إثبات ما أثبتَه الله لنفسه من صفات وأسماء، فيؤمن المسلم بأنَّ الله هو السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبَّار، ويؤمن بأنَّ الله تعالى فوق السماوات مستوٍ على العرش، وبأن لا أحدَ يُشبِه الله تعالى في أسمائه وصفاته؛ فالله الغني الذي ليس كمثله أحد، والعليم الحكيم الذي ليس لأحدٍ من العلم والحكمة مثل ما له.

ويستند الإيمان بأسماء الله الحسنى إلى عدَّة أركانٍ، وهي: الإيمان بالاسم، والإيمان بدلالة ما في الأسماء من مَعان، وما فيها من آثارٍ، وقد بيَّن العلامة ابن القيم- رحمه الله- آثار الإيمان بأسماء الله وصفاته فقال: تدلُّ أسماء الله الحسنى على الكمال؛ فكلُّ صفة لها فعل ومقتضى؛ إمَّا أن يكون لازمًا أو مُتعدِّيًا؛ فتعلُّق الفعل بالمفعول من لوازمه، وليس من الممكن تعطيل ذلك، فعلى سبيل المثال يُوجِب اسْمَا السميع البصير ما كان مسموعًا ومرئيًّا، أمَّا الخالِق فإنَّه يقتضي وجود مخلوقٍ، وأكملُ الناسِ عبوديةً مَن تعبَّد بجميع أسماء الله وصفاته التي يعلمها البشر[٣].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ١٩٨) برقم (٢٧٣٦) كتاب الشروط باب ما يجوز من الاشتراط والثنيا في الإقرار، والشروط التي يتعارفها الناس بينهم، وإذا قال: مائة إلا واحدة أو ثنتين. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٦٣) برقم (٢٦٧٧) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها.

(٢) ينظر: مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (١/ ١٢٣).

(٣) ينظر: مدارج السالكين (١/ ٤١٩). مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.



كما تُحقِّق مَحبةَ الله سبحانه؛ فأكثرُ العباد معرفة بأسماء الله الحسنى أكثرُهم حُبًّا له عزَّ وجلَّ؛ إذ إنَّ الله محمودٌ على كلِّ فعلٍ وأمْرٍ، فجميعها تصدر عن حكمة وعلْمٍ.

كما تُعَدُّ معرفة أسماء الله الحسنى سببًا من أسباب الفوز بمغفرة الله ورضوانه؛ فمعرفة العبد أنَّ الله جبَّارٌ؛ تُحقِّق شعور العبد بتعظيم الله تعالى والخوف منه كذلك؛ فيحرص على تنفيذ أوامره، والابتعاد عمَّا نهى عنه.

قال الشيخ السعدي- رحمه الله-: في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾(١): ولله سبحانه وتعالى الأسماء الحسنى، الدالَّة على كمال عظمته، وكلُّ أسمائه حَسَنٌ، فاطلبوا منه بأسمائه ما تريدون، واتركوا الذين يُغيِّرون في أسمائه بالزيادة أو النقصان أو التحريف، كأن يُسمَّى بها مَن لا يستحقُّها، كتسمية المشركين بها آلهتهم، أو أن يجعل لها معنى لم يُرِدْه اللهُ ولا رسولُه صلى الله عليه وسلم، فسوف يُجزَون جزاء أعمالهم السيِّئة التي كانوا يعملونها في الدنيا من الكُفْر بالله، والإلحاد في أسمائه وتكذيب رسوله صلى الله عليه وسلم(٢).

فهذا بيانٌ لعظيم جلاله، وسعة أوصافه، بأنَّ له الأسماء الحُسنى، أي: له كلُّ اسمٍ حَسَنٍ، **وضابطُه**: أنَّه كلُّ اسمٍ دالٍّ على صفة كمالٍ عظيمة، وبذلك كانت حُسنى، فإنَّها لو دلَّت على غير صفة، أو كانت عَلَمًا محضًا لم تكن حُسنى، وكذلك لو دلَّت على صفةٍ ليست بصفة كمال؛ إمَّا صفة نقص، أو صفة مُنقسِمة إلى المدح والقدح؛ لم تكن حُسنى، فكلُّ اسمٍ من أسمائه تبارك وتعالى دالٌّ على جميع الصفة التي اشتُقَّ منها، مُستغرِقٌ لجميع معناها.

ونختم بما قاله الشيخ ابن باز- رحمه الله- حيث قال: يُبيِّنُ سبحانه أنَّ له الأسماء الحُسنى التي لا يعتريها نقص، بل هي كاملة: كالحكيم، والعزيز، والرؤوف، والقدير، والقدُّوس، والمِلِك، ونحو ذلك، كلُّها أسماءٌ حُسنى دالَّة على المعاني العظيمة، موصوفٌ بها ربُّنا عزَّ وجلَّ على الوجه اللائق به سبحانه وتعالى، فيُدعَى بها سبحانه وتعالى، فيُقال: يا رحمنُ، يا رحيمُ، يا عزيزُ، يا حكيمُ؛ اغفرْ لنا، ارحمْنا، نجِّنا من النَّار، فهو يُدعَى بها سبحانه وتعالى: ﴿ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾، والإلحاد فيها هو الميل بها عن الحقِّ والإشراك مع الله فيها سبحانه وتعالى، كمَن جعل لغير الله شيئًا من العبادة كاللات والعُزَّى والأصنام، قد أشركَ فيها مع اللهِ غيرَه وجعلها إلهًا له ولغيره،

---

(١) الأعراف: ١٨٠.

(٢) ينظر: التفسير الميسر (١/ ١٧٤).



فصار كافرًا بذلك، وهكذا مَن ألحَدَ فيها بأنْ مالَ عن الحقِّ، وزعم أنَّه لا معنى لها كالجهميَّة والمعتزلة الذين نفوا صفات الله، أو نفوا أسماءه وصفاته جميعًا، فقد ألحدوا في ذلك، يعني مالوا عن الحقِّ، فالإلحادُ الميلُ عن الحقِّ، ومنَّه اللحدُ في القبر[١].

(١) من شرح الشيخ رحمه الله تعالى على كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب. ينظر موقع الشيخ رحمه الله.

١٢ شوَّال

أم المؤمنين عائشة الصِّدِّيقة بنت الصِّدِّيق

السَّيِّدة الصِّدِّيقة عائشة بنت عبد الله بن أبي قُحافة بن عثمان بن عامر بن كعب بن كنانة، زوجة النبي صلى الله عليه وسلم، وابنة خليفة الرسول صلى الله عليه وسلم أبي بكر الصِّدِّيق- رضي الله عنه-، وأمُّها أم رومان بنت عامر الكنانية. هاجر بِها والداها، وتزوَّجها الرسول صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة للمدينة المنوَّرة وبعد وفاة زوجته السيدة خديجة بنت خويلد- رضي الله عنها-، ولم يدخلْ بها إلَّا في شوَّال سنة اثنتين من الهجرة، بعد غزوة بدر، وهي ابنة تسع سنوات، فكانت زوجته في الدنيا، وهي زوجته كذلك في الآخرة. روى البخاري أنَّ عمرو بن العاص- رضي الله عنه- سأل النبي صلى الله عليه وسلم: أيُّ الناسِ أحبُّ إليكَ يا رسول الله؟ قال: عائشة، قال: فمِنَ الرجال؟ قال: أبوها"[١].

وكانت عائشة- رضي الله عنها- تُكنَّى بأمِّ عبد الله؛ نسبة لابن أختها عبد الله بن الزبير-رضي الله عنه-، والذي أتتْ به عند ولادته إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فتفل في فمه؛ ليكون ذلك أول ما يدخل إلى جوفه، وقيل أيضًا: إنَّها أتتْ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلبتْ منه أن يكون لها كُنية كباقي النساء؛ فكنَّاها بأمِّ عبد الله نسبة لابن أختها أسماء تطييبًا لخاطِرها، فعن عروة عن عائشة- رضي الله عنها- قالت: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ كُلُّ صَوَاحِبِي لَهُنَّ كُنًى، قَالَ:" فَاكْتَنِي بِابْنِكِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ- يَعْني ابنَ أُختِها-". رواه أحمد[٢].

كان لها- رضي الله عنها- مكانة خاصَّة في قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان يُظهِر ذلك الحُبَّ، ولا يُخفيه، وقال صلى الله عليه وسلم ذات مرَّةٍ:" يا أُمَّ سَلَمَةَ؛ لا تُؤْذِينِي في عَائِشَةَ، فإنَّه واللهِ ما نَزَلَ عَلَيَّ الوَحْيُ وأَنَا في لِحَافِ امْرَأَةٍ مِنْكُنَّ غيرِهَا". رواه البخاري[٣].

وكان صلى الله عليه وسلم يداعبها، فعن السيدة عائشة- رضي الله عنها- قالت:" لَقَدْ رَأَيْتُ رَسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُومُ علَى بَابِ حُجْرَتِي، وَالْحَبَشَةُ يَلْعَبُونَ بحِرَابِهِمْ، في مَسْجِدِ رَسولِ اللهِ

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٥/ ٥) برقم (٣٦٦٢) كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لو كنت متخذا خليلا». ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٥٦) برقم (٢٣٨٤) كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

(٢) رواه أحمد في مسنده (٤٣/ ٢٩١) برقم (٢٦٢٤٢). وأبو داود في سننه (٤/ ٢٩٣) برقم (٤٩٧٠) كتاب الأدب باب في المرأة تكنى. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (١٠/ ٤٧٠).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٥/ ٣٠) برقم (٣٧٧٥) كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باب فضل عائشة رضي الله عنها.

صلى الله عليه وسلم، يَسْتُرُنِي بردَائِهِ، لِكَيْ أَنْظُرَ إلى لَعِبِهِمْ، ثُمَّ يَقُومُ مِن أَجْلِي، حتَّى أَكُونَ أَنَا الَّتي أَنْصَرِفُ، فَاقْدِرُوا قَدْرَ الجَارِيَةِ الحَدِيثَةِ السِّنِّ، حَرِيصَةً علَى اللَّهْوِ". رواه مسلم(١).

وعنها أيضًا أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم:" كانَ إذا اشتَكى يقرأُ في نفسِهِ بالمعوِّذاتِ وينفُثُ، فلمَّا اشتدَّ وجعُهُ كنتُ أقرَأُ عليْهِ وأمسَحُ عليْهِ بيدِهِ رجاءَ برَكتِها". رواه البخاري ومسلم(٢).

فهي- رضي الله عنها- تُعتبَر من أكثر الصحابيَّات فضلًا، فيكفيها أنَّه نزل في براءتها قرآنٌ يُتلى إلى يوم القيامة، ويكفيها أنَّها زوجة النبي صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة، وأنَّها أحبُّ نسائه إلى قلبه، وأنَّه مات في دارها ودُفِن فيها، وأنَّه مات بين سحْرها ونحْرها.

وقد أقرأها جبريل- عليه السلام- السلام، فعن عائشة- رضي الله عنها- أنَّها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" يا عائِشُ؛ هذا جِبْرِيلُ يُقْرِئُكِ السَّلَامَ، قُلتُ: وعليه السَّلَامُ ورَحْمَةُ اللَّهِ، قالَتْ: وهو يَرَى ما لا نَرَى". رواه البخاري ومسلم(٣).

ومن فضائلها أنَّها- رضي الله عنها- من أفقه نساء هذه الأمَّة، فقد روت عن الرسول- صلى الله عليه وسلم علمًا كثيرًا، وبلغ مُسندُها ألفين ومائتين وعشرة أحاديث، وكانت- رضي الله عنها- أفصح أهل زمانها وأحفظهم للحديث، روى عنها- رضي الله عنها- الرواةُ من الرجال والنساء، يقول أبو موسى الأشعري- رضي الله عنه-:" ما أشكَل علينا - أصحابَ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم- حديثٌ قطُّ، فسأَلْنا عائشةَ إلَّا وجَدْنا عندَها منه عِلْمًا". رواه الترمذي(٤).

وكان مسروق إذا روى عنها يقول: حدَّثتني الصِّدِّيقة بنتُ الصِّدِّيق البريئة المبرَّأة(٥).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٧/ ٢٨) برقم (٥١٩٠) كتاب النكاح باب حسن المعاشرة مع الأهل. ومسلم في صحيحه (٢/ ٦٠٩) برقم (٨٩٢) كتاب صلاة العيدين باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه في أيام العيد.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٦/ ١١) برقم (٤٤٣٩) كتاب المغازي باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٧٢١) برقم (٢١٩١) كتاب السلام باب استحباب رقية المريض. واللفظ المذكور هو لفظ ابن ماجه كما في سننه (٢/ ١١٦٦) برقم (٣٥٢٩) كتاب الطب باب النفث في الرقية.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٥/ ٢٩) برقم (٣٧٦٨) كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باب فضل عائشة رضي الله عنها. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٩٥) برقم (٢٤٤٧) كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم باب فضل عائشة رضي الله تعالى عنها.

(٤) رواه الترمذي في جامعه (٥/ ٧٠٥) برقم (٣٨٨٣) أبواب المناقب فضل عائشة رضي الله تعالى عنها. والحديث صححه الألباني كما في مشكاة المصابيح (٣/ ١٧٤٦).

(٥) ينظر: مسند أحمد (٤٣/ ١٦٨) برقم (٢٦٠٤٤).

وقال الزهري: كانت عائشة- رضي الله عنها- أعلم الناس، يسألها الأكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم[١].

وقال عطاء: كانت عائشة- رضي الله عنها- أفقه الناس، وأعلم الناس، وأحسن الناس رأيًا في العامَّة[٢].

وقد ثبت رجوع أكابر الصحابة مثل: عمر وعثمان وعليّ وابن عمر وابن مسعود وابن عبَّاس- رضي الله عنهم جميعًا- وغيرهم في الكثير من المسائل التي كانت تشكل عليهم؛ الى أمِّ المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- فكانت تفصل بينهم بالحكم الشرعي.

ومن فضائلها- رضي الله عنها- أنَّها صاحبة معرفة بأنساب العرب، وأنَّها العابدة والزاهدة والشاعرة والطبيبة. قال عروة: ما رأيتُ أعلمَ بالشعرِ منها- يعني عائشة-". رواه البخاري[٣].

وكان لها- رضي الله عنها- علمٌ بالطِّبِّ، قال أبو عمر بن عبد البر: إنَّ عائشة- رضي الله عنها- كانت وحيدة عصرها من ثلاثة علوم: (علْم الفقه، وعلْم الشِّعْر، وعلْم الطِّبِّ) [٤].

وعند وفاتها- رضي الله عنها- جاء ابنُ أخيها عبدُ الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، فأكبَّ عليها فقال: هذا عبد الله بن عبَّاس يستأذن، وهي تموت، فقالت: دعني من ابن عبَّاس. فقال: يا أماه؛ إنَّ ابن عبَّاس من صالحِ بنيكِ، يُسلِّم عليكِ ويُودِّعكِ. فقالت: ائذن له إن شئتَ. قال: فأدخلتُه، فلمَّا جلس قال ابن عبَّاس: أبشري. فقالت أمُّ المؤمنين: بماذا؟ فقال: ما بينك وبين أن تلقي مُحمَّدًا والأحبَّة إلَّا أن تخرج الروح من الجسد، وكنتِ أحبَّ نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) ينظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٢٠/ ١٧). تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المؤلف: يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي (المتوفى: ٧٤٢هـ)، المحقق: د. بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠ – ١٩٨٠.

(٢) ينظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٣٥/ ٢٣٤).

(٣) ذكره الذهبي في تاريخ الإسلام (٢/ ٥١٠). تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: الدكتور بشار عوّاد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣م.

(٤) ينظر: الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة (ص: ٥٦). الْإِجَابَةُ لِإِيْرَادِ مَا اسْتَدْرَكَتْهُ عَائِشَةُ عَلَى الصَّحَابَةِ، المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي الشافعي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، المحقق: سعيد الأفغاني (تمت الإحالات على هذه الطبعة مع مراعاة عدم نقل تعليقه وقام بتحرير الكتاب والتعليق عليه والتخريج: د. عصمت الله)، الناشر: المكتب الإسلامي- بيروت، الطبعة: الأولى: عام ١٣٥٨هـ – ١٩٣٩م، الثانية: عام ١٣٩٠هـ – ١٩٧٠م.



إليه، ولم يكن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يُحبُّ إلَّا طيِّبًا، وسقطتْ قلادتُك ليلة الأبواء فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصبح الناس وليس معهم ماء، فأنزل الله آية التيمُّم، فكان ذلك في سببكِ، وما أنزل اللهُ من الرُّخصة لهذه الأُمَّة، وأنزل الله براءتك من فوق سبع سموات، جاء بها الروح الأمين، فأصبح ليس مسجدٌ من مساجد الله إلَّا يُتلَى فيه آناء الليل وآناء النهار. فقالتْ: دعني منك يا ابن عبَّاس، والذي نفسي بيده؛ لوددتُ أنِّي كنتُ نسيًا مَنسيًّا[١].

تُوفِّيت أمُّ المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- في المدينة المنوَّرة، ليلة الثلاثاء في السابع عشر من شهر رمضان، في السنة الثامنة والخمسين للهجرة؛ أي أنَّها عاشت بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم خمسين عامًا، وأوصتْ أن تُدفَن ليلًا، وصلَّى عليها أبو هريرة- رضي الله عنه- ودُفِنت في البقيع، وكان ذلك زمن خلافة معاوية بن أبي سفيان- رضي الله عنه-.

ولا أجد ما نختم به أفضل من قول الشاعر:

قدْ عَزَّ مَن آلَتْ بُنوَّتُهُ لأُمِّ المؤمنينْ
هِيَ أمُّنا، زوجُ النبيِّ الصَّادقِ البَرِّ الأَمينْ
أمٌّ إلى يومِ القيامةِ للأُباةِ الصَّادِقينْ
صِدِّيقةٌ هيَ، وابنةُ الصدِّيقِ فَخرِ العَالَمِينْ
هيَ فَخْرُ مَن نُسِبُوا إلَيها مِن بَناتٍ أوْ بَنِينْ
اَلحُرَّةُ الشَمَّاءُ، عِزُّ الخَلْقِ، في خُلُقٍ وَدِينْ
اللهُ طَهَّرَ ثَوبَها، مِن كلِّ بادِرةٍ تَشِينْ
وَلَها الكَرامةُ وَالسُّموُّ بِرَغـمِ كَيدِ الحَاقِدينْ[٢]

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٤/ ٢٩٧) برقم (٢٤٩٦). والحديث صححه لغيره الألباني كما في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (١٠/ ١٩٥). والحديث رواه البخاري مختصرًا في صحيحه (٦/ ١٠٦) برقم (٤٧٥٣) كتاب تفسير القرآن باب {ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن [ص:١٠٦] نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم} [النور: ١٦].

(٢) لم أقف على قائلها. فالله أعلم

١٣ شوَّال

الشِّرْك الأكبر

الشِّرْك باللَّه مُصطلح إسلامي يُشير إلى جعْل شريكٍ لله في العبادة والمِلْك، ويَعتبِر الإسلامُ الشِّرْكَ باللهِ أكبرَ الكبائر، ويُسمَّى صاحبُه مُشرِكًا، قال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله-: أصل الشرك أن تَعدِلَ باللهِ مخلوقاته في بعض ما يستحقُّه وحده(١)، وقال الشيخ السعدي- رحمه الله-: حقيقة الشِّرْك بالله أن يُعبَد المخلوقُ كما يُعبَد الله، أو يُعظَّم كما يُعظَّم الله، أو يُصرَف له نوعٌ من خصائص الربوبيَّة والإلهيَّة(٢)؛ فالشرك عدم التوحيد، وهو جعْل شيء من حقوق الله تعالى- في ربوبيَّته أو ألوهيَّته أو أسمائه وصفاته- لأحدٍ من خلْقه، وهو فرعٌ من الكفر بالله تعالى.

والشرك والكفر قد يُطلَقان بمعنى واحد وهو الكفر بالله أي: التكذيب والجحود بالله، قال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله-: الكفر هو عدم الإيمان، سواء كان معه تكذيب، أو استكبار، أو إباء، أو إعراض؛ فمن لم يحصل في قلبه التصديق والانقياد فهو كافر(٣). قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾(٤).

قال الإمام النووي: إنَّ الشرك والكفر قد يُطلَقانِ بمعنى واحد، وهو الكفر بالله تعالى، وقد يُفرَّق بينهما، فيُخصُّ الشرك بعبدة الأوثان وغيرها من المخلوقات مع اعترافهم بالله تعالى، ككفَّار قريش، فيكون الكفرُ أعمَّ من الشرك(٥).

ويُقسَّم هذا النوع من الشرك إلى عدَّة أنواع بحسب طبيعة الشرك المندرِج تحته:

١- الشرك في الربوبيَّة: وهو أن يعتقد المرء بأنَّ هناك شريكًا لله- سبحانه وتعالى-، مُتصرِّفًا في الكون بالخلْق والإنشاء والإيجاد والتدبير، وقد ادَّعى فرعون ذلك لنفسه، وجاء بيان ذلك في قوله تعالى

---

(١) الاستقامة (١/ ٣٤٤). الاستقامة، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: د. محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود – المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣.

(٢) تفسير السعدي (ص: ٢٧٩).

(٣) مجموع الفتاوى (٧/ ٦٣٩).

(٤) النساء: ١٣٦.

(٥) شرح النووي على مسلم (٢/ ٧١).



على لسانه: ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾[(١)]، فكان إغراقُه دليلًا على كذب ادِّعائه، فكيف لربٍّ أن يعجز عن إنقاذ نفسه من الغرق؟ فلم يستطع إدراك ما ينتظره ليتفاداه ويُبعِد الشرَّ عن نفسه، ومن باب أولى أن يعجز عن إنقاذ غيره وإبعاد الخطر عنهم، ومَن كان هذا حاله فإنَّه يستحيل أن يكون ربًّا مُتصرِّفًا في الأمور.

٢- الشرك في الألوهيَّة: وهو أن يصرف المرءُ عبادتَه أو شيئًا منها لغير الله سبحانه وتعالى، فيجعل في تلك العبادة تقرُّبًا من ذلك الشريك، ومثال ذلك عبادة الأصنام والأوثان والالتجاء إلى القبور والتوسُّل بأصحابها، فيجب على مَن آمن بالله أن يُعزِّز إيمانه، ويُثبِّتَه بأن يصرف جميع عبادته ويجعلها مُتوجِّهة لما يُرضي اللهَ ويُقرِّبُه منه. ومن ذلك تَقرُّبه إليه بالصلاة وإفرادها له، والصيام وإخلاصه له، والحج والزكاة وغير ذلك من العبادات، وأن يعتقد أنَّ الله لم يدعْ بينه وبين عباده حاجزًا يمنعهم من الالتجاء إليه مباشرة، فلا يتوسَّل إلى صاحب قبرٍ لأن يُوصِّلَه إلى الله؛ مهما بلغ صاحب ذلك القبر من العلم والتقوى والورع، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[(٢)].

٣- الشرك في الأسماء والصفات: وهو أن يعتقد المرءُ أنَّ هناك من البشر أو الخلْق مُتَّصِفٌ بصفات الله عزَّ وجلَّ أو واحدة منها، وأنَّ اتِّصاف ذلك الشخص أو الشيء بتلك الصفة هو كاتِّصاف الله بها، وهو كمَن يعتقد أنَّ أحد الخلْق يعلمُ الغيبَ مثلَ علْمِ الله عزَّ وجلَّ، أو أنَّ هنالك من الخلْق مَن له مِن القدرة بحيث لا يَستعصي عليه فعْلُ شيءٍ، ولا يقف شيء في وجهه.

والشرك الأكبر أن تجعل لله نِدًّا (شريكًا) تدعوه كما تدعو الله، أو تصرف له نوعًا من أنواع العبادة، كالاستغاثة أو الذبح أو النذر أو غيرها، فعن ابن مسعود- رضي الله عنه- قال: سألتُ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم: أيُّ الذنبِ أعظم؟ قال:" أن تجعلَ لله نِدًّا وهو خلقك". رواه البخاري ومسلم[(٣)].

---

(١) النازعات: ٢٤.

(٢) الأنعام: ١٦٢.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٦/ ١٨) برقم (٤٤٧٧) كتاب تفسير القرآن باب قوله تعالى: {فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون} [البقرة: ٢٢]. ومسلم في صحيحه (١/ ٩٠) برقم (٨٦) كتاب الإيمان باب كون الشرك أقبح الذنوب، وبيان أعظمها بعده.

والشرك الأكبر له صور ومظاهر مُتعدِّدة؛ نذكر منها:

١- شِرْك الدعاء: وهو دعاء غير الله من الأنبياء والأولياء لطلب الرزق أو شفاء المرضى؛ لقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(١)، ولقوله صلى الله عليه وسلم:" مَن مَاتَ وهو يدعو من دون الله نِدًّا دَخَلَ النَّارَ". رواه البخاري(٢).

٢- الشرك في صفات الله: كالاعتقاد بأنَّ الأنبياء أو الأولياء يعلمون الغيب، قال الله تعالى: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾(٣).

٣- شِرْك المحبَّة: وهو محبَّة أحد الأولياء أو غيرهم كمحبَّة الله؛ لقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾(٤).

٤- شِرْك الطاعة: وهو طاعة العلماء والمشايخ في المعصية مع اعتقادهم جواز ذلك؛ لقوله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾(٥)، وقد فُسِّرتِ العبادة بطاعتهم في المعصية بتحليل ما حرَّم الله، وتحريم ما أحلَّ الله؛ قال صلى الله عليه وسلم:" لا طاعةَ لمخلوقٍ في معصيةِ الخالِقِ". رواه أحمد(٦).

٥- شِرْك الحلول: وهو الاعتقاد بأنَّ الله تعالى حَلَّ في مخلوقاته، وهذه عقيدة ابن عربي الصوفي المدفون بدمشق حتَّى قال:

الرَّبُّ عبدٌ، والعبدُ رَبٌّ   يَا ليتَ شِعري مَنِ المكلَّفُ؟(٧)

٦ - شِرْك التصرُّف: وهو اعتقاد أنَّ بعض الأولياء لهم تصرُّفات في الكون يُدبِّرون أموره، يُسمُّونهم الأقطاب، مع أنَّ الله تعالى يسأل المشركين الأقدمين قائِلًا: ﴿ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ﴾(٨).

---

(١) يونس: ١٠٦.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٦/ ٢٣) برقم (٤٤٩٧) كتاب تفسير القرآن باب قوله: {ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله} [البقرة: ١٦٥].

(٣) الأنعام: ٥٩.

(٤) البقرة: ١٦٥.

(٥) التوبة: ٣١.

(٦) رواه أحمد في مسنده (٢/ ٣٣٣) برقم (١٠٩٤). والحديث صححه الألباني كما في مشكاة المصابيح (٢/ ١٠٩٢).

(٧) مجموع الفتاوى (٢/ ٨٢) إلا أنه قال في الشطر الأول من البيت: "الرب حق والعبد حق"

(٨) يونس: ٣١.

٧- شِرْك الخوف: وهو الاعتقاد بأنَّ لبعض الأولياء الأموات أو الغائبين تصرُّفًا وضررًا يُسبِّب الخوف منهم، لذلك تجد بعض الناس يحلف بالله كاذبًا ولا يحلف بالوليّ كاذبًا خوفًا منه، وهذا اعتقاد المشركين الذي حذَّر منه القرآن بقوله: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ ﴾[1]. أمَّا الخوف من الحيوان المفترِس، والظالم الحيّ فجائزٌ، وليس بشِرْكٍ.

٨- شِرْك الحاكمية: وهو الذي يُصدِر القوانين المخالِفة للإسلام ويُجيزها، أو يرى عدم صلاحية حُكْم الإسلام، ويشمل الحاكم والمحكوم، وذلك إذا اعتقدها المحكوم ورضي بها.

والشِّرْك الأكبر يُحبِط العمل: لقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[2].

ختامًا: الشرك الأكبر من الكبائر التي تُخرِج الإنسان من مِلَّة الإسلام، ويتلخَّص الشرْك الأكبر بشِرْكِ الربوبيَّة في ذات الله، وشِرْكِ الأسماء والصفات في أسماء الله وصفاته، وشِرْكِ الألوهيَّة في أفعال الله. والشرك الأكبر لا يغفرُه اللهُ إلَّا بالتوبة وترْك الشرْك كلِّه؛ لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾[3].

(١) الزمر: ٣٦.

(٢) الزمر: ٦٥.

(٣) النساء: ١١٦.

١٤ شوَّال

الشِّرْك الأصغر

إنَّ الشِّرْك بالله تعالى أعظمُ ذنبٍ عُصِيَ الله به، كما قال جلَّ وعلا: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[1]، وهو نوعان: أكبر وقد تحدَّثنا عنه، وأصغر وهو موضوع حديثنا الآن، وللأسف الشديد فبعض الناس يظنُّون أنَّ تسميته شركًا أصغر تعني أنَّه من صغائر الذنوب، وليس الأمْرُ كذلك؛ بل هو من الكبائر لكن لا يُخرِجُ من الإسلام.

والشِّرْك الأصغر: هو ما ثبت بالنصوص من الكتاب والسُّنَّة تسميته شركًا؛ لكنَّه ليس من جنس الشِّرْك الأكبر.

وقد عرَّف العلَّامة عبد الرحمن السعدي- رحمه الله- الشِّرْك الأصغر بأنَّه: كلُّ وسيلةٍ وذريعةٍ يتطرَّق منها إلى الشِّرْك الأكبر من الإرادات والأقوال والأفعال التي لم تبلغ رتبة العبادة[2]، وقد خافه رسول الله صلى الله عليه وسلم على صحابته- رضي الله عنهم- وهم أكمل الأُمَّة إيمانًا، ولكثرة مَن وقع فيه مِن المسلمين، فلا يكاد أحدٌ ينجو منه إلَّا مَن عَصمَ الله.

ويُمكن أن نُعرِّف الشِّرْك الأصغر بأنَّه ما أتى في النصوص أنَّه شِرْكٌ، ولم يصل إلى حدِّ الشِّرْك الأكبر.

وهناك دلالات مُعيَّنة تُبيِّنُ الشِّرْك الأصغر من الأكبر، منها:

صريح النَّصِّ عليه، كقوله صلى الله عليه وسلم:" إنَّ أخوفَ ما أخافُ عليكم الشِّرْك الأصغر، قالوا: يا رسول الله؛ وما الشِّرْك الأصغر؟ قال: الرياء". رواه أحمد[3].

ومن الدلالات على الشِّرْك الأصغر أن يأتي مُنكَّرًا غير مُعرَّف، فإن جاء مُعرَّفًا بـ "ال" دلَّ على أنَّ المقصود به الشِّرْك المخرِجَ من المِلَّة، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم:" إنَّ الرُّقى والتمائم والتِّوِلَة شِرْكٌ". رواه أحمد[4].

---

(١) لقمان: ١٣.

(٢) القول السديد شرح كتاب التوحيد (ص: ٥٨). القول السديد شرح كتاب التوحيد، المؤلف: أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢١هـ.

(٣) رواه أحمد في مسنده (٣٩/ ٣٩) برقم (٢٣٦٣٠). والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/ ٦٣٤).

(٤) رواه أحمد في مسنده (٦/ ١١٠) برقم (٣٦١٥). وأبو داود في سننه (٤/ ٩) برقم (٣٨٨٣) كتاب الطب باب في تعليق التمائم. وابن ماجه في سننه (٢/ ١١٦٦) برقم (٣٥٣٠) كتاب الطب باب تعليق التمائم. والحديث حسنه الألباني كما في مشكاة المصابيح (٢/ ١٢٨٤).



ومن الدلالات أيضًا على الشِّرْك الأصغر ما فهمَه الصحابة من النَّصِّ، فالصحابة أعلمُ الأُمَّة بمعاني نصوص الكتاب والسُّنَّة، ومثاله حديث:" الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، وما منَّا إلَّا، ولكنَّ الله يُذهِبه بالتَّوكُّل". رواه أحمد[١]. فإنَّ آخر الحديث على الصحيح هو من قول ابن مسعود-رضي الله عنه-، ومعناه: وما منَّا إلَّا ويقع له شيءٌ من التَّطيُّر.

ومن ذلك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم:" مَن حَلَفَ بغير الله فقد أشْرَكَ". رواه الترمذي[٢]، فقد فسَّر ابن عبَّاس- رضي الله عنهما- قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٣]، أنَّ الحلف بغير الله مِن الشِّرْك الخفيِّ والذي يُعتبَر شِرْكًا أصغر.

حيث فسَّر الرسول صلى الله عليه وسلم الشِّرْك الخفي بالرِّياء، والذي يُعَدُّ شِرْكًا أصغر، عن أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه-:" ألا أخبركم بما هو أخوفُ عليكم عندي من المسيح الدَّجَّال؟ قالوا: بلى. قال: الشِّرْك الخفي، يقومُ الرجلُ فيُصلِّي فيُزيِّنُ صلاتَه لما يرى من نظر الرجل". رواه أحمد[٤].

ومن الشِّرْك الأصغر ما يكون شِرْكًا بحسب قائله ومقصده، فمثلًا الحلف بغير الله تعالى- في حد ذاته- من الشِّرْك الأصغر (شِرْك الألفاظ)، لكن إن قصد قائله تعظيم غير الله تعالى كتعظيم الله تعالى مثلًا، فهذا شِرْك أكبر.

والشِّرْك الأصغر قد يكون ظاهرًا جليًّا، وربما كان خفيًّا دقيقًا، كما أنَّه يكون في الإرادات والنِّيَّات، ويكون في الأقوال والأفعال.

فمن أمثلة هذا الشِّرْك: التَّطيُّر وهو التشاؤم بالطيور، والأسماء، والألفاظ، والبقاع وغيرها، فنهى الشارع عن التَّطيُّر وذمِّ المتطيِّرين، قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٦/ ٢١٣) برقم (٣٦٨٧). وأبو داود في سننه (٤/ ١٧) برقم (٣٩١٠) كتاب الطب باب في الطيرة. والترمذي في جامعه (٤/ ١٦٠) برقم (١٦١٤) أبواب السير باب ما جاء في الطيرة. وابن ماجه في سننه (٢/ ١١٧٠) برقم (٣٥٣٨) كتاب الطب باب من كان يعجبه الفأل ويكره الطيرة. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٧٩١).

(٢) رواه أحمد في مسنده (٩/ ٢٧٥) برقم (٥٣٧٥). وأبو داود في سننه (٣/ ٢٢٣) برقم (٣٢٥١) كتاب الأيمان والنذور باب في كراهية الحلف بالآباء. والترمذي في جامعه (٤/ ١١٠) برقم (١٥٣٥) أبواب النذور والأيمان باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله. والحديث صححه الألباني كما في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٦/ ٣٨٥).

(٣) البقرة: ٢٢.

(٤) رواه أحمد في مسنده (١٧/ ٣٥٤) برقم (١١٢٥٢) مختصرًا. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٤٠٦) برقم (٤٢٠٤) كتاب الزهد باب الرياء والسمعة. والحديث حسنه الألباني كما في مشكاة المصابيح (٣/ ١٤٦٦).



يَعۡلَمُونَ ﴾[(١)]، وقال صلى الله عليه وسلم:" لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر". رواه البخاري[(٢)].
إنَّ التَّطيُّر سوءُ ظنٍّ بالله تعالى، وتعلُّقٌ بأسباب موهومة، ومن ثَمَّ فإنَّ التشاؤم إنَّما هو في نفس الشخص المتشائِم لا في الشيء المتشاءَم منه، فوهمُه وخوفُه وإشراكُه هو الذي يُطيِّره ويَصدُّه، لا ما رآه وسمعه، ولذا لما قال معاوية بن الحكم السلمي لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ومنَّا أُناسٌ يتطيَّرون. فقال صلى الله عليه وسلم:" ذلك شيءٌ يجده أحدكم في نفسه، فلا يَصُدَّنكم". رواه مسلم[(٣)]. ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُحبُّ الفأل ويكره الطِّيَرة، لأنَّ الفأل الحَسَنَ إنَّما هو حُسْنُ ظنٍّ بالله تعالى، ودون تعلُّقٍ للقلب بغير الله، بل فيه من المصلحة والسرور وتقوية النفوس، وموافقة الفطرة إلى ما يُلائمها، وقد جاءت الأحاديث في بيان علاج ذلك منها:" مَن ردَّتْه الطِّيَرةُ عن حاجته فقد أشْرَكَ، قالوا: فما كفارة ذلك؟ قال: أن تقول: اللهمَّ لا خيرَ إلَّا خيرُكَ، ولا طيرَ إلَّا طيرُك، ولا إلهَ غيرُكَ".رواه أحمد[(٤)].

ومن الشِّرْك الأصغر؛ الشِّرْك الخفي: وهو الشِّرْك في الإرادات والنِّيَّات، ورحم الله ابن القيم عندما قال عن هذا الشِّرْك: فذلك البحر الذي لا ساحل له، وقَلَّ مَن ينجو منه، فمَن أراد بعمله غير وجه الله، ونوى شيئًا غير التقرُّب إليه وطلب الجزاء منه؛ فقد أشْرَكَ في نِيَّته وإرادته[(٥)].

أيضًا: الرياء اليسير في أفعال العبادات وأقوالها، كأن يُطيلُ في الصلاة أحيانًا ليراه الناس، أو يرفع صوته بالقراءة أو الذِّكر أحيانًا ليسمعه الناس فيحمدوه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إنَّ أخوفَ ما أخافُ عليكم الشِّرْك الأصغر: الرياء". رواه أحمد[(٦)]، أمَّا إذا كان لا يأتي بأصل العبادة إلَّا رياءً، ولولا ذلك ما صلَّى ولا صام، ولا ذَكَرَ الله ولا قرأ القرآن؛ فهو مُشْرِكٌ شِرْكًا أكبر، وهو من المنافقين الذين قال الله فيهم:﴿ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ

---

(١) الأعراف: ١٣١.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٧/ ١٣٥) برقم (٥٧٥٧) كتاب الطب باب لا هامة.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٣٨١) برقم (٥٣٧) كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب تحريم الكلام في الصلاة، ونسخ ما كان من إباحته.

(٤) رواه أحمد في مسنده (١١/ ٦٢٣) برقم (٧٠٤٥). والحديث صححه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٢/ ١٠٧٥).

(٥) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ص: ١٣٥). الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار المعرفة – المغرب، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

(٦) رواه أحمد في مسنده (٣٩/ ٣٩) برقم (٢٣٦٣٠). والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/ ٦٣٤).



كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴾[(١)]، إلى أن قال: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[(٢)]، وصدق فيهم قوله تعالى في الحديث القدسي:" أنا أغنى الشُّركاء عن الشِّرْك، مَن عَمِلَ عَمَلًا أشْرَكَ معي فيه غيري؛ تركتُهُ وشِرْكَهُ". رواه مسلم[(٣)].

ختامًا: الشِّرْك الأصغر لا يُخرِج مِن مِلَّة الإسلام، ولكنَّه أكبر الكبائر بعد الشِّرْك الأكبر؛ ولذا قال عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه-:" لأن أحلف بالله كاذبًا أحبُّ إليَّ مِن أن أحلف بغيره صادقًا"[(٤)]، وعلى هذا فهو يُعامَل معاملة المسلمين فيرثُه أهله ويرثُهم، ويُصلَّى عليه إذا مات، ويُدفَن في مقابر المسلمين، وتُؤكَلُ ذبيحتُه، ولا يُخلَّدُ في النار إن أُدخِلها كسائر مُرتكبي الكبائر عند أهل السُّنَّة والجماعة، خِلافًا للخوارج والمعتزِلة.

---

(١) النساء: ١٤٢.

(٢) النساء: ١٤٢-١٤٦.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٢٨٩) برقم (٢٩٨٥) كتاب الزهد والرقائق باب من أشرك في عمله غير الله.

(٤) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٩/ ١٨٣) برقم (٨٩٠٢). والحديث صححه الألباني كما في إرواء الغليل (٨/ ١٩١).



١٥ شوَّال

العناية بحقِّ الجار

لقد عظَّم اللهُ حقَّ المسلم على المسلم، وحقَّ القريب على قريبه، وحقَّ الجار على جاره.

والقيام بهذه الحقوق من أهمِّ أسباب السعادة للفرد والمجتمع، ولقد كان العرب- وهم في جاهليَّتِهم- يتفاخرون بحُسْن الجوار وإكرام الجار، ورعاية حقوقه وصون حُرُماته، وكفِّ الأذى عنه، حتَّى قال قائلُهم:

وَأَغُضُّ طَرْفِي إِنْ بَدَتْ لِي جَارَتِي حتَّى يُوارِيَ جَارَتِي مَثْوَاهَا(١)

فلمَّا جاء الإسلام أكَّد هذا الخُلُق النبيل، وعظَّم حقَّ الجار على جاره، حتَّى كاد أن يُورِّثَه منه كأهلِه وعيالِه، روى البخاري ومسلم من حديث عائشة- رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ"(٢).

والجيرانُ ثلاثةٌ: جارٌ له حقٌّ واحدٌ، وجارٌ له حقَّانِ، وجارٌ له ثلاثة حقوق، فالجار الذي له ثلاثة حقوق هو الجار المسلم ذو الرحم؛ فله حقُّ الجوار، وحقُّ الإسلام، وحقُّ الرحم، وأمَّا الذي له حقَّانِ فالجار المسلم؛ له حقُّ الجوار، وحقُّ الإسلام، وأمَّا الذي له حقٌّ واحدٌ؛ فالجار المشرِك.

قال ابن عبَّاس- رضي الله عنهما- في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ ﴾(٣). الجار ذي القربى، أي: القريب؛ والجار الجُنُب، أي: الغريب(٤).

وقال الشيخ السعدي- رحمه الله-: الْجَارِ الْجُنُبِ أي: الذي ليس له قرابة، وكلَّما كان الجار أقرب بابًا كان آكَدَ حقًّا، فينبغي للجار أن يتعاهدَ جارَه بالهدية والصدقة، والدعوة واللطافة بالأقوال والأفعال، وعدم أذيَّته بقول أو فعل(٥).

---

(١) ينظر: نهاية الأرب في فنون الأدب (١٥/ ٣٣٨). نهاية الأرب في فنون الأدب، المؤلف: أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (المتوفى: ٧٣٣هـ)، الناشر: دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ١٠) برقم (٦٠١٥) كتاب الأدب باب الوصاة بالجار. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٢٥) برقم (٢٦٢٤) كتاب البر والصلة والآداب باب الوصية بالجار والإحسان إليه.

(٣) النساء: ٣٦.

(٤) ينظر: شرح صحيح البخارى لابن بطال (٩/ ٢٢١). شرح صحيح البخارى لابن بطال، المؤلف: ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: ٤٤٩هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

(٥) تفسير السعدي (ص: ١٧٨).



وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم:" وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، قِيلَ: وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ"(١). والبوائق: جمع بائقة وهي الداهية، والشيء المهلك، والأمْر الشديد الذي يُوافي بغتة، وروى البخاري ومسلم أيضًا في صحيحيهما من حديث أبي هريرة- رضي الله عنه- أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال:" مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِي جَارَهُ"(٢).

وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنَّ الإحسان إلى الجار سببٌ لدخول الجنة، كما أنَّ إيذاءه سببٌ لدخول النار. فلقد روى الإمام أحمد من حديث أبي هريرة- رضي الله عنه- قال:" قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ إِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلَاتِهَا، وَصِيَامِهَا، وَصَدَقَتِهَا، غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، قَالَ: هِيَ فِي النَّارِ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ فَإِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ قِلَّةِ صِيَامِهَا، وَصَدَقَتِهَا، وَإِنَّهَا تَصَدَّقُ بِالْأَثْوَارِ مِنَ الْأَقِطِ(٣)، وَلَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، قَالَ: هِيَ فِي الْجَنَّةِ"(٤).

وحقوق الجار كثيرة؛ منها: الإحسان وبذْلُ المعروف له، وإكرامه. روى البخاري ومسلم في صحيحيهما أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال:" مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ"(٥).

قال عمر بن الخطاب- رضي الله عنه-: من حقِّ الجار أن تبسط إليه معروفك، وتكفَّ عنه أذاك(٦).

وكلَّما كان الجارُ أقربَ كان حقُّه أعظمَ. روى البخاري في صحيحه من حديث عائشة- رضي الله عنها- قالت:" قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ إِنَّ لِي جَارَيْنِ، فَإِلَى أَيِّهِمَا أُهْدِيَ؟ قَالَ: إِلَى أَقْرَبِهِمَا مِنْكِ بَابًا"(٧).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ١٠) برقم (٦٠١٦) كتاب الأدب باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه. ومسلم في صحيحه (١/ ٦٨) برقم (٤٦) كتاب الإيمان باب بيان تحريم إيذاء الجار.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٧/ ٢٦) برقم (٥١٨٥) كتاب النكاح باب الوصاة بالنساء. ومسلم في صحيحه (١/ ٦٨) برقم (٤٧) كتاب الإيمان باب الحث على إكرام الجار والضيف، ولزوم الصمت إلا عن الخير وكون ذلك كله من الإيمان.

(٣) (بِالْأَثْوَارِ مِنَ الْأَقِطِ)، أَيْ: بِقِطَعٍ مِنْهُ جَمْعُ ثَوْرٍ بِالْمُثَلَّثَةِ وَهُوَ قِطْعَةٌ مِنَ الْأَقِطِ. وهو لبن جامد مستحجر ويتخذ من مخيض اللبن الغنمي. انظر: مرقاة المفاتيح (٨/ ٣١٢٦).

(٤) رواه أحمد في مسنده (١٥/ ٤٢١) برقم (٩٦٧٤). والحاكم في المستدرك على الصحيحين (٤/ ١٨٣) ٧٣٠٤، وقال هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه ووافقه الذهبي، والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٣٦٩).

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ١١) برقم (٦٠١٩) كتاب الأدب باب: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره. ومسلم في صحيحه (١/ ٦٨) برقم (٤٧) كتاب الإيمان باب الحث على إكرام الجار والضيف، ولزوم الصمت إلا عن الخير وكون ذلك كله من الإيمان.

(٦) ينظر: الآداب الشرعية والمنح المرعية (٢/ ١٦). الآداب الشرعية والمنح المرعية، المؤلف: محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبد الله، شمس الدين المقدسي الراميني ثم الصالحي الحنبلي (المتوفى: ٧٦٣هـ)، الناشر: عالم الكتب.

(٧) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ٨٨) برقم (٢٢٥٩) كتاب الشفعة باب: أي الجوار أقرب.



ومن الحقوق: زيارته، وتفقُّد أحواله والسؤال عنه، وإجابة دعوته. روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة- رضي الله عنه- أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال:" حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ- وذكر منها- وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ"(١).

ومنها: إظهار محاسنه، وستْر عيوبه؛ وخاصَّة عند الأهل والأولاد، فإنَّ ذلك ينتج عنه انتشار المحبَّة، والمودَّة بين الجيران، وهذه الخصلة السابقة في غاية الأهمِّيَّة، ليكونَ ذلك داعيًا إلى عدم المجاهرة بالأخلاق السَّيِّئة.

قال الإمام الغزالي- رحمه الله- مُلخِّصًا حقوق الجار: أن يبدأه بالسلام، ويعوده في المرض، ويُعزِّيه في المصيبة، ويقوم معه في العزاء، ويُهنئه في الفرح، ويُظهِر الشركة في السرور معه، ويصفح عن زلَّاته، ولا يتطلَّع من السطح إلى عوراته، ولا يُضايقه في وضع الجذْع على جداره، ولا في مصبِّ الماء في ميزابه، ولا يضيق طرقه إلى الدار، ويستر ما يتكشَّف له من عوراته، وينعشه من صرعته إذا نابتْه نائبة، ولا يغفل عن ملاحظته عند غيبته، ولا يسمع عليه كلامًا، ويغضَّ بصره عن حُرمته، ولا يديم النظر إلى خادمته، ويتلطَّف بولده في كلمته، ويرشده إلى ما يجهله من أمر دينه ودُنياه(٢).

ومن الحقوق عدم الإيذاء أو الإساءة للجار، ودليل ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم:" مَن كان يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ فلا يؤذي جارَه". رواه مسلم(٣)، ومن أشكال إيذاء وإساءة الجار؛ حسدُه، وتمنِّي زوال النعمة عنه، والاستهزاء به، واحتقاره، ونشْر وإفشاء أخباره وأسراره بين الناس، والكذب على لسانه، والسعي لبُغض الناس له، وتتبُّع أخطائه والفرح بها، والتضييق عليه في السكن أو مكان اصطفاف السيارة، وإلقاء المهملات أمام باب منزله، والإساءة إلى أبنائه، وتتبُّع عوراته وعِرْضه، والعمل على إزعاجه بالأصوات المرتفعة المزعجة.

ومن إكرام الجار تقديم الهدايا والعطايا له، والسعي في المعروف والخير من أجله؛ فالهدايا من العوامل التي تُقرِّب القلوب والنفوس، وتُمحي الأحقاد بين الناس، وتبني المحبَّة والمودَّة بينهم؛ وممَّا يدلُّ على ذلك قولُ الرسول صلى الله عليه وسلم لأبي ذر الغفاري- رضي الله عنه-:" يا أبا ذرٍّ؛ إذا

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٧٠٥) برقم (٢١٦٢) كتاب السلام باب من حق المسلم للمسلم رد السلام.

(٢) إحياء علوم الدين (٢/ ٢١٣). إحياء علوم الدين، المؤلف : محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، الناشر : دار المعرفة – بيروت.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٧/ ٢٦) برقم (٥١٨٥) كتاب النكاح باب الوصاة بالنساء. ومسلم في صحيحه (١/ ٦٨) برقم (٤٧) كتاب الإيمان باب الحث على إكرام الجار والضيف، ولزوم الصمت إلا عن الخير وكون ذلك كله من الإيمان.

طبَختَ مَرَقةً، فأكثِرْ ماءَها، وتعاهَدْ جِيرانَك". رواه مسلم[(١)]، ولا يُشترَط في الهدية للجار أن تكون للفقير فقط؛ فالرسول صلى الله عليه وسلم كان يَقبَل الهديَّة، كما أنَّه كان يُهدي الناس.

ومن الإحسان إليه؛ محبَّة الخير والبرِّ والمعروف للجارِ كحُبِّها للنفس، وعدم حسد الجار على أي شيءٍ، حيث روى الإمام مسلم في صحيحه أنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم قال:" والَّذي نفسي بيَدِه؛ لا يُؤمِنُ عبدٌ حتَّى يُحِبَّ لجارِه (أو قال: لأخيه) ما يُحِبُّ لنفسِه"[(٢)].

أيضًا تقديم كافة أنواع المساعدات للجار، روى أبو هريرة- رضي الله عنه- أنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم قال:" لا يمنعُ أحدُكم جارَه أن يغرزَ خشبَه في جدارِه". رواه مسلم[(٣)].

ختامًا: الجارُ مِن أقربِ الناس إلى الإنسان، بل أقربُ إليه حتَّى مِن أهله، وهو كلُّ مَن يكون بجوارك سواءً كان في المسكن أم في العمل، ونظرًا لمدى قُرْبه من الإنسان؛ فإنَّ التعامل معه أمْرٌ ضروري، لذلك علينا احترام حقوق جيراننا وتوعية أبنائنا بذلك.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٢٥) برقم (٢٦٢٥) كتاب البر والصلة والآداب باب الوصية بالجار والإحسان إليه.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٦٨) برقم (٤٥) كتاب الإيمان باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ١٣٢) برقم (٢٤٦٣) كتاب المظالم والغصب باب: لا يمنع جار جاره أن يغرز خشبه في جداره. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٢٣٠) برقم (١٦٠٩) كتاب المساقاة باب غرز الخشب في جدار الجار.



١٦ شوَّال

فلْيَقُلْ خَيرًا أو لِيصْمُتْ

رغَّبَ النبي صلى الله عليه وسلم معشر المؤمنين بحفظ اللسان، وقول الطَّيِّب من الكلام، فالذي يحمل في قلبه إيمانًا بالله تعالى، وإيمانًا بيوم القيامة وما فيه من حساب، يضع نُصبَ عينيه حفْظ لسانه، وعدم التفوُّه إلَّا بالخير، وبالكلمة الطَّيِّبة، وسوف يُؤجَر على هذا الفعل في اليوم الآخر، ومن لم يستطع ذلك فعليه بالصمت، فذلك أفضلُ له؛ فقد ثبت في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري عن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" مَن كانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ واليَومِ الآخِرِ فلا يُؤْذِ جارَهُ، ومَن كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليَومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، ومَن كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليَومِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أوْ لِيَصْمُتْ"(١).

بدأ الحديث النبوي بذكْر الإيمان؛ ليحثَّ على وصْل الأعمال بالإيمان بالله، حيث لا يجوز ولا يُقبَل أيُّ عملٍ للإنسان بدون الإيمان، وهو أهمُّ شرطٍ لقبول الأعمال، وهذه الأعمال المذكورة أعمالٌ أمَرَ الله بها أو نهى عنها، فمَنِ التزم بذلك فله أجر عظيم، ودلَّ الالتزام بها على صدْق إيمان المرء وحُسْن خُلُقه، ومَن تركها كان إيمانُه ناقصًا لم يكتمل، فهو إمَّا أن يكون قد قصَّر في حقِّ الله، أو قصَّر في حقوق العباد.

وربْطُ قول الخير أو الصمت بإيمان المرء؛ فيه وعيدٌ شديدٌ لمن يتكلَّم بالكلمة السوء، دون أن يهتمَّ لوقْعِها، ولما ينتج عنها من قطيعة وتباغُض، ومن أسباب ربْطها بالإيمان أنَّ الأعمال مرتبطة ببعضها، فإكرام الضيف يتضمَّن قول الخير الذي يسرُّه، والسكوت عن الحديث الذي يُكدِّره، بالإضافة لكرم الضيافة المادي بحسب قدرة الإنسان، وعلاقة الجوار تتضمنُّ الإكرام والودَّ، وتتضمنُّ عدم الإيذاء والإساءة، وهذا يشمل الأفعال وأقوال اللسان من الخير والشرِّ، فالمؤمن يمتاز بحُسْن الخُلُق، والحكمة في التصرُّف.

ولا شكَّ أنَّ القرآن الكريم، والسُّنَّة النبوية الشريفة رغَّبَا في الكلمة الطيِّبة، منها قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوًّا

(١) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ١١) برقم (٦٠١٨) كتاب الأدب باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره. ومسلم في صحيحه (١/ ٦٨) برقم (٤٧) كتاب الإيمان باب الحث على إكرام الجار والضيف، ولزوم الصمت إلا عن الخير وكون ذلك كله من الإيمان.



مُّبِينًا ﴾[١]، وعدَّها رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقةً؛ كما ورد في الحديث:" كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عليه صَدَقَةٌ، كُلَّ يَومٍ تَطْلُعُ فيه الشَّمْسُ، يَعْدِلُ بيْنَ الِاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، ويُعِينُ الرَّجُلَ علَى دابَّتِهِ فَيَحْمِلُ عليها، أوْ يَرْفَعُ عليها مَتاعَهُ صَدَقَةٌ، والكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وكُلُّ خُطْوَةٍ يَخْطُوها إلى الصَّلاةِ صَدَقَةٌ، ويُمِيطُ الأذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ". رواه البخاري[٢].

ولحفْظ اللسان فوائد عديدة، منها ما يأتي:

١- حفْظ اللسان وإمساكه عن قول الشرِّ، وتدريبه على قول الخير؛ ينال المسلم به أجرًا عظيمًا، ويُبعِده عن الإثم وعذاب النار، فالناس تُلقَى في النار بسبب حصاد ألسنتهم.

٢- صاحب اللسان الذي لا ينطق إلَّا خيرًا محبوبٌ بين الناس، فالذي يحترم الناس ومشاعرهم فلا ينطق بما يؤذيهم؛ سيبادله الناس الاحترام، فتكون مشاعره بالحفظ والصون.

٣- انتشار المودَّة بين الناس، وانحصار البغضاء والكراهية، فكلمةٌ تُصلِحُ بين الناس، وكلمة تُسبِّب الفتن.

٤- يجعل المجتمع يتَّسم بالأخلاق، إذ لا كذب فيه، ولا لغو، ولا شتائم، ولا رمْي محصنات ولا اتهامات، ولا شهادة زور.

ومن مظاهر حفظ اللسان؛ حفظ اللسان عن الكذب، وعن الغيبة والنميمة، وعن شهادة الزور، وعن اللغو، وعن الخوض في أعراض الناس.

وفي هذه الأيام وبسبب كثرة الفتن وكثرة الشرور بين الناس وبسبب ما تُروِّجه وسائل الإعلام والتويترات والوسائل الكثيرة الدقيقة والمنتشرة في البيوت وفي كل مكان؛ يُنشَر من الأخبار ومن الإثارات والشائعات ما يُشيِّب الرؤوس ويشغل الناس، والناس إذا اجتمعوا في مجالسهم لا بدَّ لهم من حديثٍ: إمَّا في الخير، وإمَّا في الشرِّ، وإمَّا بما لا فائدة فيه.

والكلام الخبيث له مضارٌّ عديدة، منها:

١- الكلمة الخبيثة تُودي بصاحبها إلى الخسارة والهلاك في الدنيا والآخرة.

٢- الكلمة الخبيثة تنشر الشرَّ وكلَّ ما هو سيءٌ وبغيضٌ في النفوس والأنحاء.

٣- الكلمة الخبيثة تُشبِهُ الشجرة التي لا تُنبِت إلَّا نباتًا مُرًّا لا يُستفاد منه ولا يُستساغ.

---

(١) الإسراء: ٥٣.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ٥٦) برقم (٢٩٨٩) كتاب الجهاد والسير باب من أخذ بالركاب ونحوه. ومسلم في صحيحه (٢/ ٦٩٩) برقم (١٠٠٩) كتاب الزكاة باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف.

٤- الكلمة الخبيثة يُحاسَب عليها الإنسان، وهي مردودة لا تُقبَل.

بينما للصمت وعدم الكلام فوائد عديدة، منها:

١- الصمت مدعاة للاحترام والتوقير.

٢- الصمت وعدم التحدُّث بما لا يليق إشارة لكمال الإيمان بالله تعالى، وبالتالي كسْبُ رضا الله تعالى ومحبَّته، ومحبَّة الناس.

٣- الصمت عن قول الحرام طريقٌ للفوز بالجنَّة ونعيمها، والنجاة من غضب الله وعقابه.

٤- الصمت عن قول المحرَّمات يُنشِئ مُجتمعًا صالحًا سويًّا، خالٍ من النزاعات والأحقاد، مبني على الاحترام المتبادَل.

٥- الصمت يُعلِّم صاحبه حُسْن الاستماع والإصغاء للآخرين.

٦- الصمت يحفظ اللسان من الوقوع في الأخطاء، والتلفُّظ بما قد يُودي بصاحبه إلى سوء الحساب يوم القيامة.

٧- الصمت يُوفِّر لصاحبه الفرصة الجيِّدة لاستثمار وقته بذكْر الله تعالى وعبادته والانشغال به.

فالمسلم إمَّا أن يتكلَّم بخير فيغنم، أو يسكت عن شرٍّ فيسلم، ولا فائدة في كلام لا يحصل به كفُّ فتنةٍ، ولا يحصل به إصلاح، إنَّما هو يُحرِّض على الفتنة، وعلى العداوات، وعلى الشرور، وقد ينتج عنه حروب، كما قال الشاعر:

وإن النَّارُ بِالعُودَينِ تُذكَى والحربُ أَوَّلُهُ كلام[(١)]

فعلى المسلمين أن يكفُّوا ألسنتهم عن الكلام في الشرِّ، وأن يقتصروا على الكلام في الخير وما فيه المصلحة لهم ولغيرهم، وكذلك الكفُّ عن الكلام الذي لا فائدة فيه، فإنَّ كلام الإنسان مكتوبٌ ومُسجَّلٌ عليه؛ قال تعالى: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾[(٢)]، وقال: ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾[(٣)].

(١) ينظر: التمثيل والمحاضرة (ص: ٢٦٤). التمثيل والمحاضرة، المؤلف: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفى: ٤٢٩هـ)، المحقق: عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: الدار العربية للكتاب، الطبعة: الثانية، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

(٢) ق: ١٨.

(٣) الزخرف: ٨٠.



فعلى المسلم أن يتحفَّظ من لسانه، قال صلى الله عليه وسلم:" وَهَل يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ على وجوهِهِم أو على مَناخِرِهِم إلَّا حَصائدُ ألسنتِهِم". رواه الترمذي[١].

والخلاصة: على الإنسان أن لا يتكلم إلا بخير؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رغّب الناس وأوصاهم بحفْظ اللسان، وعدم التفوُّه إلَّا بالخير، والكلام الطَّيِّب، وإن لم يستطع فلْيلْتزِمِ الصمت؛ فذلك أفضل له.

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٣٦/ ٣٤٤) برقم (٢٢٠١٦). والترمذي في جامعه (٥/ ١١) برقم (٢٦١٦) أبواب الإيمان باب ما جاء في حرمة الصلاة. والنسائي في السنن الكبرى (١٠/ ٢١٤) برقم (١١٣٣٠) كتاب التفسير قوله تعالى: {تتجافى جنوبهم عن المضاجع} [السجدة: ١٦]، وقوله تعالى: {فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين} [السجدة: ١٧]. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٣١٤) برقم (٣٩٧٣) كتاب الفتن باب كف اللسان في الفتنة. والحديث صححه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٢/ ١٣٨).

١٧ شوَّال

إكرام الضيف

إكرام الضيف مَكْرُمَة من مكارم الأخلاق، وخصلة من خصال الخير، وخُلُق من أخلاق الإسلام، يدلُّ على سماحةٍ في النفس، وكرم في الطبع، وإيثار للغير، وشهامة ومروءة، وإيمان بما عند الله تعالى من العوض والفضل.

والضيف: هو المرء الذي يقصد بابًا يبتغي منه إكرامًا حتَّى يقضي حاجته، وقد قيل قديمًا: الضيف هو ضيف الله، أي: يتوجَّب على الإنسان أن يُكرِمَه كرمًا عظيمًا؛ فلا يجد عنده وحشة، ولا يُقاسي معه غُربة، فيكون وإيَّاه كالرجل الواحد الذي لو اشتكى أحدهما أمرًا تداعى له الآخر بالسهر والحُمَّى.

وأوَّلُ طريقةٍ لإكرام الضيف هي الابتسامة في وجهه، وأن يكون الإنسان معه بشوشًا، فلا يلمس منه خشونة ولا فظاظة، ولا ينزعج من تصرُّفاته مهما كانت.

وإكرام الضيف يكون من خلال تقديم أجود ما يمتلكه من الطعام والشراب، فلا يُقدِّم له خلًّا وهو يمتلك لحمًا، ولا يُقدِّم له ماءً وهو يملك الفاكهة، أمَّا لو كان فقيرًا لا يملك مِن أمْره شيئًا؛ فإنَّ خير الطعام ما كان حاضرًا بين يديه.

ولقد أمَرَ الإسلام بإكرام الضيف، وتقديم أفضل ما يُمكن أن يكون في سبيل رضاه وسعادته، وجَعَلَ إكرام الضيف من الأخلاق الحميدة التي تستوجب الحصول على الأجر والثواب الكبيرين، خاصَّة أنَّ الضيف الذي يحضُر تحضُر معه البركة، وعندما يُغادِر فإنَّما يُغادر بذنوب أهل البيت إذا أكرموه وأدَّوا له حُسْن الضيافة.

ومن الأدلَّة على وجوب إكرام الضيف في الإسلام؛ أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم كان يُكرِم ضيفه إكرامًا كبيرًا، وكذلك كان يفعل الصحابة- رضوان الله عليهم- ومِن بعدهم التابعين، ولهذا فإنَّ إكرام الضيف واجبٌ على المرأة والرجل في الوقت نفسه.

ومن أشهر الأمثلة على إكرام الضيف ما فعله النبي إبراهيم- عليه السلام- الذي قدَّم عِجْلًا مَشْويًا لضيوفه، وهذا يدلُّ على أنَّ كرم الضيافة من أخلاق الأنبياء- عليهم السلام-، وقد ذكر الله تعالى قصَّة إكرام نبيِّه الخليل لضيوفه في القرآن الكريم بقوله: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴾[1]، وذُكِرَتْ هذه الحادثة أيضًا بقوله تعالى في

(١) هود: ٦٩.



موضع آخر من القرآن الكريم: ﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ﴾(١).

وحثَّ النبيُّ صلى الله عليه وسلم أُمَّته على إكرام الضيف، وبيَّن أنَّ ذلك من تمام الإيمان بالله تعالى واليومِ الآخر، فقال صلى الله عليه وسلم:" ومَن كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليَومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ". رواه البخاري ومسلم(٢)، وأمَّا مَن يبخلُ عن ضيفانه ويُقصِّرُ في إكرامهم؛ فلا شكَّ أنَّ ذلك نقصٌ في إيمانه ومروءته.

ومن الواجب على المضِيف أن يُكرِم ضيفه مُدَّة الضيافة وهي ثلاثة أيام؛ أمَّا اليوم الأوَّل فيزيد في برِّه وإكرامه، ثم في اليومين الآخرين يُكرمه بما يحضُر عنده دون أن يتكلَّف له، فإذا زاد بقاء الضيف وإقامته على ثلاثة أيام، فإن أكرمه المضِيفُ كان ذلك منه بمنزلة الصدقة على الضيف، يُؤجَر ويُثاب عليها، ولكن لا ينبغي للضيف أن يُثقِل على مضيفه حتَّى يُحرجه ويضيق عليه، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم:" مَن كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليَومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، جائِزَتُهُ يَوْمٌ ولَيْلَةٌ، والضِّيافَةُ ثَلاثَةُ أيَّامٍ، فَما بَعْدَ ذلكَ فَهو صَدَقَةٌ، ولا يَحِلُّ له أنْ يَثْوِيَ عِنْدَهُ حتَّى يُحْرِجَهُ". رواه البخاري(٣).

ومن صور حُسْن الضيافة في الإسلام ما فعله الأنصارُ في المدينة المنوَّرة مع المسلمين المهاجرين الذين قدِموا من مكَّة مع النبي صلى الله عليه وسلم حيث فتحوا بيوتهم لجميع المهاجرين، وأحسنوا ضيافتهم وأكرموهم، وقدَّموا لهم ما يحتاجون إليه من طعام وأدوات وملابس، وبهذا يكون الأنصار قدوة في إكرام الضيف، ولهذا يجب على جميع المسلمين أن يحافظوا على هذه العادة القيِّمة، والسجية الحسنة، وأن يستمرُّوا في إكرام ضيوفهم وتقديم أفضل الأشياء لهم حتَّى تظلَّ راسخة في المجتمع مثل الأشجار القويَّة التي تحافظ على جذورها مهما طال الزمان.

ومن آداب استقبال الضيف؛ الترحيب به بحفاوة كبيرة، وإشعاره بأنَّه في بيته، والتبسُّم في وجهه، وعدم سؤاله عن أي شيء قد يُسبِّب له الإزعاج.

---

(١) الذاريات: ٢٤– ٢٧.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ١١) برقم (٦٠١٨) كتاب الأدب باب: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره. ومسلم في صحيحه (١/ ٦٨) برقم (٤٧) كتاب الإيمان باب الحث على إكرام الجار والضيف، ولزوم الصمت إلا عن الخير وكون ذلك كله من الإيمان.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ١١) برقم (٦٠١٩) كتاب الأدب باب: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٣٥٢) برقم (٤٨) كتاب اللقطة باب الضيافة ونحوها.



أيضًا الاستئذان من استقبال ضيفٍ آخر تتمُّ دعوته في حضوره، وذلك لعدم التسبُّب له بأي إزعاج، كما يجب تقديم الطعام والشراب له، وألَّا يجلس صاحب البيت إلَّا بعد جلوس الضيف، واستقباله بأجمل الثياب وأفضلها تكريمًا له.

وبالمقابل على الضيف أن يحترم آداب الزيارة؛ فلا يأتي دون موعد، ولا يُثقِل على أهل البيت بطلباته، وأن يأكل من الطعام الذي يُقدِّمونه إليه، وأن يحترم البيت الذي يحلُّ ضيفًا عليه، وأن يدعو لصاحب البيت بالخير والبركة بعد أن يفرغ من طعامه وشرابه.

وعلى صاحب البيت أن يُفضِّل الضيف على نفسه وأهل بيته، وأن يُقدِّم له الأفضل من كل شيء، وألَّا يُكثِر عليه بالكلام والأسئلة الكثيرة أو يُسبِّب له أي نوع من الأذى، كما يجب توفير جميع سُبُل الراحة له حتَّى لا يشعر بأي نقص، وعدم الغضب أمامه من الأبناء أو أي أحدٍ، وعدم سرْد القصص الحزينة أمامه حتَّى لا يشعر بالضيق والحزن، وإدخال السرور إلى قلبه، وأن يكون الحديث معه بما تميل إليه نفس الضيف، وأن يُقرِّب إليه الطعام الذي يُحبُّه، وعدم فراغ صاحب البيت من الطعام إلَّا بعد انتهاء الضيف منه.

وعند تقديم الضيافة للضيوف؛ يجب البدء بتقديمها للضيف الأكبر سِنًّا ثم للأصغر، ويستحب السمر والجلوس مع الضيف ومَن معه، وذلك تقديرًا واحترامًا لمكانة الضيف، وبمجرد أن يرغب الضيف بالمغادرة؛ فينبغي المشي معه وإيصاله إلى باب البيت، وهي من الأعمال المستحبَّة التي يُؤجَر عليها أهل البيت كثيرًا، لأنَّ إكرام الضيف من الأخلاق العربية الإسلامية الرفيعة التي يجب الالتزام بها، أمَّا الذين لا يُكرمون الضيف فقد كان العرب يهجونهم بالشعر، ويعدُّونهم بخلاء وليسوا أهلًا لاستقبال الضيف وإكرامه، وفي هذا قال الشاعر العربي في هجاء بني نجيح لعدم إكرامهم لضيوفهم وترْكهم يبيتون وهم جوعى:

يَبيتُ الضيفُ عند بني نُجيحٍ ... خميصَ البطنِ ليسَ لهُ طعامُ
يَهونُ عليهم أن يَحرمــــــوهُ ... إذا حَلَبوا لقاحَهم وناموا[1]

---

(١) البيتان للأسود النهشلي. ينظر: https://www.aldiwan.net/poem610.html.



١٨ شوَّال

يُحشَر المُتكبِّرون أمثال الذرِّ يوم القيامة

الكِبْرُ نوعان: باطنٌ وظاهرٌ؛ فالباطن: خُلُقٌ في نفس الإنسان، والظاهر: أعمالٌ تصدُرُ عن الجوارح، وهذه الأعمال الظاهرة هي ثمراتٌ لما في الباطن، فالباطن هو الأصل، والظاهر فرعٌ منه، والكِبْرُ الباطنيُّ معناه: أن يرى المتكبِّر نفسه فوق مَن يتكبَّر عليه، بحيث يصير ذلك كالعقيدة عنده، فيفرح به، ويركن إليه، ويعتزُّ في نفسه بسببه، وذلك هو خُلُق الكِبْر، وعلى هذا فالكِبْر يستدعي توافر أمورٍ ثلاثة: ١- إنسانٌ مُتكبِّرٌ. ٢- إنسانٌ يتكبَّرَ المتكبِّرُ عليه. ٣- سببٌ لهذا الكِبْر. فلا يُتصوَّر أن يُوجد إنسانٌ مُتكبِّرٌ دون أن يُوجد مَن يتكبَّر عليه؛ لأنَّه يرى نفسه فوقه في صفات الكمال، كما أنَّه لا يُعتبَر مُتَكبِّرًا بمجرد استعظامه لنفسه؛ فقد يستعظم نفسه ولكنَّه يرى غيره أعظمَ منه، كما أنَّه لا يُعتبَر مُتكبِّرًا بمجرد احتقاره غيره؛ فقد يحتقر غيره ويحتقر نفسه مثل احتقاره، وإنَّما يُوجَدُ الكِبر من أمور ثلاثة، هي: أن يرى لغيره منزلة ويرى لنفسه منزلة، ويرى أنَّ منزلته فوق منزلة غيره، فبهذه الثلاثة يحصُل خُلُقُ الكبرِ الباطنيّ، ويُسمَّى أيضًا: عزَّة وتعاظُمًا، وتعاليًا وانتفاخًا؛ حتَّى قال عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- لرجلٍ استأذنه في وعْظ الناس بعد صلاة الفجر: أخْشَى أن تَنتفِخَ حتى تَبْلُغَ الثُّرَيَّا[١].

ثمَّ إنَّ هذه الحال التي تحصُل للإنسان حتَّى يَكبر في نفسه، إذا وُجِدتْ آثارُها في تصرُّفاته مع الغير؛ فإنَّه يُسمَّى حينئذٍ مُتَكَبِّرًا، فالكِبر: حالة نفسية، والتكبُّر: أثَرٌ لهذه الحالة النفسية.

والآيات والأحاديث الواردة في الكِبْر وتحريمه من شأْنها أن تجعَل المسلم يقف صاغرًا أمام عظمة الله وجلاله، ويندم خاشعًا ذليلًا على كل ما فَرَط منه مِن كِبْر أو خيلاء، ويضرع إلى الله تائبًا مُنيبًا راجيًا إيَّاه أن يرحمَ ضعفه، ويَشفيَ مِن مرضِ الكِبْر نفسه، ويَرزقه التواضُعَ للحقِّ، والتطامُن للخَلْق، وأنْ يُنيرَ له طريقَ الهُدى، ويردَّه عن أسباب الهلاك والرَّدَى. والله تبارك وتعالى يقول: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَـٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾[٢]. ويقول أيضًا: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[٣]، كما يقول تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ

(١) ينظر: إحياء علوم الدين (٣/ ٣٢٦).
(٢) الأعراف: ١٤٦.
(٣) القصص: ٨٣.



قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾[1]؛ فالآية الأولى تدلُّ على أنَّ قلب المتكبِّر وبصيرته يعميهما الله تعالى فلا يَهتدي إلى الحق أبدًا، وفي آية سورة القَصص حُكْمٌ على المتعالين على النَّاس بِحرمانهم من جنَّة الله ورحمته في الآخرة، وفي آية سورة غافر دَلالةٌ على أنَّ قلوب المتكبِّرين مُغلَقةٌ عن الحقِّ وعن النور؛ جزاءً من الله وعقابًا لهم.

أمَّا الأحاديث: فقد الْتَقَى عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص- رضي الله عنهم- على المروة فتحدَّثا، ثم مَضَى عبد الله بن عمرو، وبقي عبد الله بن عمر يبكي، فقال له رجلٌ: ما يُبْكيكَ يا أبا عبد الرحمن؟ قال: هذا- يَعني: عبد الله بن عمرو- زَعَم أنَّه سَمِع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول:" مَن كان في قلبه مِثقالُ حَبَّة من خَرْدَل مِن كِبْرٍ؛ كبَّه الله لوجْهه في النار". رواه الإمام أحمد[2].

وعن حذيفة- رضي الله عنه- قال: كنَّا مع النبي صلى الله عليه وسلم في جنازة، فقال:" ألا أُخبركم بشرِّ عباد الله؟ الْفظُّ المستكبِر، ألا أُخبركم بخير عباد الله؟ الضعيف المستضعَف ذو الطِّمْرَيْنِ لَا يُؤْبَه له، لو أقْسَمَ على الله لأَبَرَّه". رواه أحمد[3].

وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" احتجَّتِ النَّارُ والجنَّةُ، فقالتْ هذه: يَدخُلُني الجبَّارون والمتكبِّرون، وقالت هذه: يدخُلُني الضُّعفاء والمساكين، فقال الله لهذه: أنتِ عَذَابي أعذِّبُ بكِ مَن أشاء، ورُبَّما قال: أُصيبُ بكِ مَن أشاء، وقال لهذه: أنتِ رحْمَتي أرحمُ بكِ مَن أشاء، ولكل واحدةٍ منكما مِلْؤُها". رواه مسلم[4].

وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" ثلاثةٌ لا يُكَلِّمهم الله يوم القيامة، ولا يُزَكِّيهم، ولا يَنظر إليهم، ولهم عذابٌ أليم: شيخٌ زانٍ، ومَلِكٌ كذَّاب، وعائلٌ مُستكبر". رواه مسلم[5].

---

(١) غافر: ٣٥.

(٢) رواه أحمد في مسنده (١٥/ ٤٢١) برقم (٩٦٧٤).

(٣) رواه أحمد في مسنده (٣٨/ ٤٤٤) برقم (٢٣٤٥٧). والحديث ذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤/ ٣٢٢).

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٩/ ١٣٤) برقم (٧٤٤٩) كتاب التوحيد باب ما جاء في قول الله تعالى: {إن رحمة الله قريب من المحسنين}. ومسلم في صحيحه واللفظ له (٤/ ٢١٨٦) برقم (٢٨٤٦) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء.

(٥) رواه مسلم في صحيحه واللفظ له (١/ ١٠٢) برقم (١٠٧) كتاب الإيمان باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار، والمن بالعطية، وتنفيق السلعة بالحلف، وبيان الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم.



وأنواع التكبُّر ومظاهر الكِبْر وآثاره كثيرة، لا يمكن إحصاؤها، وهي تختلف من فرد لآخر، ومن بيئة لأخرى، ومن عصر لعصر، وهكذا؛ فالولد الذي يأنف أن يسمع لأبيه ويخضع له- لأنَّه تعلَّم أكثر من أبيه- هو إنسانٌ عاقٌّ؛ بسبب التكبُّر على والده، والمرأة التي تأنف أن تخضع لزوجها وتطيعه- لأنَّها مُوظَّفةٌ مثلُه، أو لأنَّها غنيَّةٌ بمالها أو بجمالها- تُعتبَر مُتكبِّرةً على زوجها وعاصية له، ومُحرَّمٌ عليها أن تدخل الجنَّة، والطالب الذي يتعالَى على أستاذه- لغناه أو لمنصب أبيه- هو مُتكبِّر، دنِيء النفْس، والعالِم الذي ينتظرُ مِن الناس أن يَنْحَنُوا له، ويُقَبِّلوا يَدَيْه، ويَحمِلوا حذاءه؛ هو مُتكبِّرٌ، وأجهلُ الناس خيرٌ منه.

ومن هنا نُدرك قول الرسول صلى الله عليه وسلم:" المتكبِّرون يوم القيامة أمثالُ الذَّرِّ في صُوَر الرجال، يَغشاهم الذُّلُّ من كلِّ مكان، فيُسَاقُون إلى سجنٍ في جهنَّمَ، يُقَال له: "بُولَس"، تَعلوهم نارُ الأنيار، يُسْقَون من عُصَارةِ أهلِ النَّارِ طينةِ الْخَبَالِ". رواه الترمذي(١).

والكِبْر حين يستشري في النفس، ويتمكَّن من قلب الإنسان، ويملك عليه حِسَّه وفكره؛ يكون أسوأ ما يُصيب الإنسان من أمراض القلب؛ فما من خُلُق من الأخلاق المذمومة إلَّا وتجد صاحب الكِبْر مُتَّصفًا به؛ فهو لا يُحبُّ للمؤمنين ما يُحبُّ لنفسه، ولا يقدر على التواضع، ولا يتخلَّص من الحقد، ولا يتغلَّب على الغضب والغيظ، ولا يستطيع دفْع الحسد عن نفسه، ولا يقبل نصيحة ناصح، ولا تعليم عالم، ولا يُعامِل الناس إلَّا بالازدراء والاحتقار، وإذا مشى اختال، وإذا تكلَّم افتخر، وإذا نصح سخر من الناس وحقَّرهم، وإذا تحدَّث تقعَّر في الكلام وتشدَّقَ، وإذا جالَسَ الناسَ غضِبَ إذا لم يكن له صدرُ المجلس، وأوَّل الكلام، وغاية التعظيم والاحترام؛ فلذلك أخبر النبيُّ صلى الله عليه وسلم أنَّه "لا يدخل الجنَّة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر". رواه مسلم(٢)، فقد حجب الكِبرُ المتكبِّرين عن الجنَّة؛ لأنَّه حجبهم عن الأخلاق الحميدة والصفات الحسنة.

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١١/ ٢٦٠) برقم (٦٦٧٧). والترمذي في جامعه (٤/ ٦٥٥) برقم (٢٤٩٢) أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب بدون ترجمة. والنسائي في السنن الكبرى (١٠/ ٣٩٨) برقم (١١٨٢٧) كتاب الرقائق. والحديث حسنه الألباني كما في صحيح الأدب المفرد (ص: ٢٠٩). صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، حقق أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: دار الصديق للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٩٣) برقم (٩١) كتاب الإيمان باب تحريم الكبر وبيانه.



ختامًا: إنَّ مَن يظنُّ أنَّه لا يُخطئ أبدًا لهو أَعظم الناس نقصًا، وأعظمهم مصيبة، فهو مُصطلِحٌ مع نفسه دائمًا، ولا يُزكّيها بإصلاح عيوبها، والنَّاس يرون منه قُبح أعماله، وهو لا يدري؛ لأنَّه لا يرى خطأه، ولا يشعر به، ولا يتمثَّل أبدًا بقول الحكيم:

وَخَالِفِ النَّفْسَ وَالشَّيْطَانَ وَاعْصِهِمَا ... وَإِنْ هُمَا مَحَّضَاكَ النُّصْحَ فَاتَّهِمِ

وَلَا تُطِعْ مِنْهُمَا خَصْمًا وَلَا حَكَمًا ... فَأَنْتَ تَعْلَمُ كَيْدَ الخَصْمِ وَالحَكَمِ[1]

(١) البيتان للبوصيري. ينظر: حسن التنبه لما ورد في التشبه (٦/ ٢٢٢). حسن التنبه لما ورد في التشبه ، المؤلف: نجم الدين الغزي، محمد بن محمد العامري القرشي الغزي الدمشقي الشافعي (المولود بدمشق سنة ٩٧٧ هـ، والمتوفى بها سنة ١٠٦١هـ)، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب، الناشر: دار النوادر، سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.



١٩ شوَّال

مَن تَواضَعَ للهِ رفعَهُ

عن أبي هريرة- رضي الله عنه- أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال:" ما نقصتْ صدقةٌ من مالٍ، وما زاد اللهُ عبدًا بعفوٍ إلَّا عزًّا، وما تواضع عبدٌ إلَّا رفعه اللهُ". رواه مسلم(١)، كلُّ ذلك فضْلٌ من الله تعالى على عبده بأن امتثل أمر الله فعطف على خلْق الله بماله، وعفا عمَّن ظلمه رجاء الثواب من عند الله، ولم يشارك اللهَ في صفة الكبرياء والعظمة، بل عرف قدْر نفسه بأنَّه مخلوق ضعيف، وأنَّ ما اتَّصف به من حُسْن خُلُقٍ، وزيادة مال، ورفعة منزلة، وعظم جاه، كلُّه من عند الله سبحانه وتعالى.

والتواضع: هو الاستسلام للحقِّ، وترْك الاعتراض في الحكم، وهو أعمُّ من الخشوع؛ لأنَّه يُستعمَل فيما بين العِباد، وفيما بينهم وبين الربِّ سبحانه، والخشوع لا يُستعمَل إلَّا في الثاني، فلا يُقال: خشع العبد لمثله، ولكن يُقال: تواضع له.

وسُئِلَ الفضيل بن عياض- رحمه الله- عن التواضع؟ فقال: يخضع للحقِّ، وينقاد له، ويقبله ممَّن قاله، ولو سمعه من صبي قَبِلَهُ، ولو سمعه من أجهل الناس قَبِلَهُ(٢). وقال ابن عطاء: التواضع هو قبول الحقِّ(٣).

وسُئِلَ الحسن البصري- رحمه الله- عن التواضع. فقال: التواضع أن تخرج من منزلك ولا تلقى مسلمًا إلَّا رأيتَ له عليك فضْلًا(٤).

والتواضع يكون من الإنسان على نوعين: أحدهما محمود، والثاني مكروه، وكلاهما مُشْعِرٌ بالذلَّة والخضوع؛ أمَّا المحمود فهو ترْك التطاوُل على الناس، وعدم غمْط حقوقهم، وخدْش كرامتهم، وتقديرهم بما يستحقونه؛ تواضعًا لله تعالى، وخوفًا من عقابه، وشعورًا بضعفه، وفهْمًا لحكمة الله بتفاوت خلْقه، وأمَّا المذموم فهو: الذلُّ والخضوع لذي الدنيا مِن أجل دنياه؛ رغبة فيما عنده، وطمعًا في ماله، غير مبالٍ بما يذهب عليه من ثواب الله الذي هو خيرٌ وأبقى من الحُطام الفاني، وربَّما ذهب عليه شيءٌ من أمور دينه الذي فيه صلاح معاشه ومعاده بسبب هذا التواضع المذموم.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٠١) برقم (٢٥٨٨) كتاب البر والصلة والآداب باب استحباب العفو والتواضع.

(٢) ينظر: مدارج السالكين (٢/ ٣١٤).

(٣) ينظر: مدارج السالكين (٢/ ٣١٤).

(٤) ينظر: التواضع والخمول لابن أبي الدنيا (ص: ١٥٢). التواضع والخمول، المؤلف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١هـ)، المحقق: محمد عبد القادر أحمد عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.



والتواضع لله عزَّ وجلَّ على ضربين: أحدهما: تواضع العبد لربِّه عندما يأتي بالطاعات غير مُعجَب بفعله، ولا راءٍ له عنده حالةً يُوجِب له بها أسباب الولاية، إلَّا أن يكون المولى عزَّ وجلَّ هو الذي يتفضَّل عليه بذلك، وهذا التواضع هو السبب الدافع لنفي العُجْب عن الطاعات. والتواضع الآخر هو: ازدراء المرء نفسه واستحقاره إياها عند ذكْره ما قارف من المآثِم؛ حتَّى لا يرى أحدًا من العالم إلَّا ويرى نفسه دونه في الطاعات، وفوقه في الجنايات، وقد فُسِّرت الخشية التي امتدح الله بها أنبياءه وأولياءه في التواضع بقوله تعالى: ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾[1]؛ أي: متواضعين فيما يأتون من الطاعات لربِّهم.

قال المبرِّد: النعمة التي لا يُحسَد صاحبُها عليها التواضع، والبلاء الذي لا يُرحَم صاحبه منه العُجْب[2].

وعن عياض بن حمار- رضي الله عنه- أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ". رواه مسلم[3].

قال الشاعر:

تَواضَعْ تَكُنْ كَالبَدرِ لَاحَ لِنَاظِرٍ ... عَلَا طَبَقَاتِ الْجَوِّ وَهُوَ رَفِيعُ
وَلَا تَكُ كَالدُّخَانِ يَعْلُو بِنَفْسِه ... إِلَى طَبَقَاتِ الجَوِّ وَهُوَ وَضِيعُ[4]

وللتواضع ثمار عديدة، منها:

أنَّ الله يُحبُّ المؤمنين المتواضعين: قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[5]، ولم يُمدَح الذُّلُّ في كتاب الله إلَّا في موضعين: الذُّلُّ للمؤمنين، والذُّلُّ للوالِدَينِ، قال تعالى: ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾[6].

---

(١) الأنبياء: ٩٠.

(٢) ينظر: آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة (ص: ٣١). آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة، المؤلف: محمد بن محمد بن محمد الغزي العامري الدمشقي، أبو البركات، بدر الدين ابن رضي الدين (المتوفى: ٩٨٤هـ)، عني بتحقيقه: الدكتور عمر موسى باشا، الناشر: مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، عام النشر: ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢١٩٨) برقم (٢٨٦٥) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار.

(٤) ينظر: مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي (١/ ٤٣٧). مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي، المؤلف: أحمد قبش بن محمد نجيب.

(٥) المائدة: ٥٤.

(٦) الإسراء: ٢.



والتواضع سبيل إبقاء النعم: قال كعب- رضي الله عنه-: ما أنعم الله على عبدٍ من نعمة في الدنيا فشكرها لله وتواضع بها لله إلَّا أعطاه الله نفْعها في الدنيا، ورفع بها درجة في الآخرة(١).

ومن ثمرته أيضًا الإكرام في الآخرة: فعن معاذ بن أنس الجهني- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" مَن ترَك اللباس تواضعًا لله، وهو يقدر عليه دعاه الله يوم القيامة على رءوس الخلائق حتَّى يُخيِّرَه من أي حُلَلِ الإيمان شاء يَلبسُها". رواه أحمد(٢).

ومن ثمار التواضع أيضًا الرفعة: فعن عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يقول الله تبارك وتعالى:" مَن تواضع لي هكذا- وجعل باطن كفِّه إلى الأرض وأدناها؛ رفعتُهُ هكذا- وجعل باطن كفِّه إلى السماء ورفعها نحو السماء-". رواه أحمد(٣).

ونختم بصورة من صور تواضع النبي صلى الله عليه وسلم: حيث قال الله تعالى له صلى الله عليه وسلم: ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ ﴾(٤)، وقال صلى الله عليه وسلم للأعرابي الخائف تواضعًا:" هوِّنْ عليك، فإنَّما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد". رواه ابن ماجه(٥)، وفي البخاري عن ابن عبَّاس أنَّه سمع عمر- رضي الله عنهم- يقول على المنبر: سمعتُ النبي صلى الله عليه وسلم يقول:" لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنَّما أنا عبدٌ فقولوا: عبدُ الله ورسولُه"(٦).

ومن صور تواضعه صلى الله عليه وسلم أيضًا:" أَنَّ امْرَأَةً سَوْدَاءَ كَانَتْ تَقُمُّ الْمَسْجِدَ، فَفَقَدَهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَسَأَلَ عَنْهَا، فَقَالُوا: مَاتَتْ. قَالَ: أَفَلَا كُنْتُمْ آذَنْتُمُونِي؟ فَكَأَنَّهُمْ صَغَّرُوا أَمْرَهَا،

---

(١) ينظر: التواضع والخمول لابن أبي الدنيا (ص: ١٢٤).

(٢) رواه أحمد في مسنده (٢٤/ ٣٩٤) برقم (١٥٦٣١). والترمذي في جامعه (٤/ ٦٥٠) برقم (٢٤٨١) أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب بدون ترجمة. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/ ٣٣٧).

(٣) رواه أحمد في مسنده (١/ ٣٩٩) برقم (٣٠٩). والترمذي في جامعه (٤/ ٦٥٠) برقم (٢٤٨١) أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب بدون ترجمة. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٥/ ٤٣٤).

(٤) آل عمران: ١٥٩.

(٥) رواه ابن ماجه في سننه (٢/ ١١٠١) برقم (٣٣١٢) كتاب الأطعمة باب القديد. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤/ ٤٩٦).

(٦) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١٦٧) برقم (٣٤٤٥) كتاب أحاديث الأنبياء باب قول الله {واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها} [مريم: ١٦].



فَقَالَ: دُلُّونِي عَلَى قَبْرِها، فَدَلُّوهُ، فَصَلَّى عَلَيْهَا، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ هَذِهِ الْقُبُورَ مَمْلُوءَةٌ ظُلْمَةً عَلَى أَهْلِهَا، وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُنَوِّرُهَا لَهُمْ بِصَلَاتِي عَلَيْهِمْ، فجاء قبرها، فصلى عليها". رواه البخاري ومسلم(١).

فالواجب على المسلم أن يتواضع لعباد الله، ويلين لهم جانبه، ويُحبَّ لهم الخير والنصح في كلِّ حالةٍ من أحوالهم؛ يحترم كبيرهم، ويحنو على صغيرهم، ويُوقِّر عالِمَهم، ويحفظ لكل ذي مكانةٍ منزلَتَه.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٩٩) برقم (٤٥٨) كتاب الصلاة باب كنس المسجد والتقاط الخرق والقذى والعيدان. مسلم في صحيحه (٢/ ٦٥٩) برقم (٩٥٦) كتاب الجنائز باب الصلاة على القبر.



٢٠ شوَّال

مَن بطَّأَ به عملُهُ لمْ يُسرعْ به نسبُهُ

إنَّ الإسلام لا يزن الناس بألواهم وأجناسهم، أو أنسابهم أو أحسابهم أو أموالهم أو أولادهم؛ إنَّما يزنهم بقلوبهم وأعمالهم وتقواهم يقول الرسول صلى الله عليه وسلم:" إنَّ الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم". رواه مسلم[١]، ويقول- صلى الله عليه وسلم-:" مَن أبطَأَ به عملُهُ لم يُسرِعْ به نسبُهُ". رواه مسلم[٢]. فمَن أخَّره يوم القيامة سوءُ عمله أو تفريطُه في العمل الصالح لا ينفعُه شرفُ نسبِه، ولا يُجديه عزُّ عشيرته، فالعبرة إذًا بالتقوى والعمل الصالح، لا بالنسب ولا بالحسب ولا بالقرابة، فالله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾[٣]؛ فالذي يُقصِّر في عمله لا يستطيع نسبُه- مهما كان عظيمًا- أن يُقدِّمه على سواه، أو يُقرِّبه من رحمة مولاه؛ فبعد النفخة الثانية في الصور لا تنفع الإنسانَ قرابتُه، ولا يكترث أحدٌ بأحدٍ، ولا يلتفت أحدٌ إلى أحدٍ ولو كان من أعزِّ الناس عليه، ولا يحمل عنه وزن جناح بعوضة، فالكل مشغولٌ بنفسه يفرُّ من أقرب الناس إليه؛ قال تعالى:﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾[٤].

قال الإمام القرطبي: وقال الفضيل بن عياض: هي المرأة تلقى ولدها يوم القيامة فتقول: يا ولدي؛ ألم يكن بطني لك وعاء؟ ألم يكن ثديي لك سقاء؟ ألم يكن حجري لك وطاء؟ فيقول: بلى يا أُمَّاه، فتقول: يا بُنيَّ؛ قد أثقلتْني ذنوبي، فاحملْ عني منها ذنبًا واحدًا، فيقول: إليكِ عنِّي يا أُمَّاه، فإنِّي بذنبي عنك مشغول[٥].

ويقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾[٦].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٩٨٧) برقم (٢٥٦٤) كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم ظلم المسلم، وخذله، واحتقاره ودمه، وعرضه، وماله.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٧٤) برقم (٢٦٩٩) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر.

(٣) النجم: ٣٩.

(٤) عبس: ٣٤- ٣٧.

(٥) ينظر: تفسير القرطبي (١٤/ ٣٣٨).

(٦) لقمان: ٣٣.



ليت الأمر يتوقَّف على هرب الناس بعضهم من بعض، وعلى تخلِّي كلِّ واحدٍ عن الآخر، فإنَّ لهفة المذنب على النجاة تُفقِده الشعور بغيره، فيودُّ لو يفتدى نفسه من عذاب النار بأعزِّ الناس إليه، ببنيه، بزوجته، بإخوانه، بعشيرته، وبمَن في الأرض جميعًا ثم ينجو، ولكن هيهات هيهات، فكلُّ هذا لا يُجديه نفعًا ولا يُنجيه، يقول الله تعالى: ﴿ يُبَصَّرُونَهُمْۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴾(١).

لما نزلَ قولُ الله تبارك وتعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾(٢). دعا النبي صلى الله عليه وسلم قريشًا فقال:" يا معشر قريش؛ اشتروا أنفسكم من الله، لا أُغني عنكم من الله شيئًا، يا صفية عمَّة رسول الله؛ لا أُغني عنك من الله شيئًا، يا فاطمة بنت محمد؛ سليني من مالي ما شئتِ، لا أُغني عنكِ من الله شيئًا". رواه مسلم(٣).

وكان يقول:" يا بني هاشم، لا يأتيني الناس بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم". رواه أحمد(٤).

فهذا كلام النبي صلى الله عليه وسلم لأقاربه الأقربين: أعمامه، وعمَّته، وابنته؛ فما بالك بمَن هم أبعد؟ فعدم إغنائه عنهم شيئًا من باب أولى.

ويقول الشيخ ابن باز- رحمه الله-: ولو كان النسب ينفع أحدًا لنفع هؤلاء(٥).

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾(٦). فقوله تعالى: ﴿ لِتَعَارَفُوٓاْۚ ﴾: علَّة للجعْل؛ أي: جعلناكم كذلك ليعرف بعضكم بعضًا؛ فتصلوا الأرحام وتُبيِّنوا الأنساب والتوارث، لا لتفاخروا بالآباء والقبائل، والحصر مأخـــوذ من التخصيص بالذكْر والســـكوت في معرض البيان.

---

(١) المعارج: ١١-١٤.

(٢) الشعراء: ٢١٤.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ٦) برقم (٢٧٥٣) كتاب الوصايا باب: هل يدخل النساء والولد في الأقارب؟. ومسلم في صحيحه (١/ ١٩٢) برقم (٢٠٤) كتاب الإيمان باب في قوله تعالى: {وأنذر عشيرتك الأقربين} [الشعراء: ٢١٤].

(٤) لم أقف عليه. قال المناوي: "قال الولي العراقي: لم أقف عليه، وقال السيوطي: قلت: أخرجه ابن أبي حاتم من مرسل الحكم بن ميناء أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يا معشر قريش. إن أولى الناس بالنبي المتقون، فكونوا أنتم بسبيل من ذلك، فانظروا أن لا يلقاني الناس يحملون الأعمال، وتلقوني بالدنيا تحملونها، فأصد عنكم بوجهي" الفتح السماوي (١/ ١٨٥).

(٥) مجموع فتاوى ابن باز (٣/ ٩٩). مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، المؤلف: عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر.

(٦) الحجرات: ١٣.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ تعليلٌ للنهي عن التفاخر بالأنساب المستفاد من الكلام بطريق الاستئناف الحقيقي كأنَّه قيل: إنَّ الأكرم عند الله تعالى، والأرفع منزلة لديه عزَّ وجلَّ في الآخرة والدنيا؛ هو الأتقى، فإن فاخَرتم ففاخِروا بالتقوى.

فهؤلاء الذين يتعلَّقون بالرسول صلى الله عليه وسلم، ويلوذون به، ويستجيرون به، الموجودون في هذا الزمن وقبله؛ قد غرَّهم الشيطان واجتالهم عن طريق الحقِّ؛ لأنَّهم تعلَّقوا بما ليس بمُتعلَّق؛ إذ الذي ينفع بالنسبة للرسول صلى الله عليه وسلم هو الإيمان به واتِّباعه. أمَّا دعاؤه والتعلُّق به ورجاؤه فيما يُؤمَّل، وخشيته فيما يُخاف منه؛ فهذا شِرْكٌ بالله، وهو ممَّا يُبعِدُ عن الرسول صلى الله عليه وسلم وعن النجاة من عذاب الله.

قال الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله-: في الحديث امتثال النبي صلى الله عليه وسلم ربَّه في قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾[١]، فإنَّه قام بهذا الأمر أتمَّ القيام؛ فدعا وعمَّ وخصَّص، وبيَّن أنَّه لا يُنجي أحدًا من عذاب الله بأي وسيلة، بل الذي يُنجي هو الإيمان به واتِّباع ما جاء به. وإذا كان القُرْبُ من النبي صلى الله عليه وسلم لا يُغني عن القريب شيئا؛ دلَّ ذلك على منْع التوسُّل بجاه النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنَّ جاه النبي صلى الله عليه وسلم لا ينتفع به إلَّا النبي صلى الله عليه وسلم، ولهذا كان أصح قولَيْ أهل العلم تحريم التوسُّل بجاه النبي صلى الله عليه وسلم[٢].

ولقد اجتهد الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله تعالى- في تفسير قوله تعالى: ﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾[٣]؛ حيث أوضح أنَّ الإنسان لا يحمل ذنب غيره، إلَّا أنَّه استثنى مِن ذلك إذا كان صاحبَ سُنَّةٍ آثمةٍ، فإنَّ عليه وزرَها ووزرَ مَن عمل بها إلى يوم القيامة، ولكن الحقيقة أنَّ هذا لم يتحمَّل وزر غيره؛ لأنَّ غيرَه قد وزرَ وأثِمَ، لكنَّه تحمَّل إثم السُّنَّة (الآثمة)، والبدء بالشرِّ، فيكون حقيقة أنَّه لم يوزَرْ وزرَ غيرِه، ولكنَّه وزرَ بوزْرِ نفسه[٤].

---

(١) الشعراء: ٢١٤.

(٢) ينظر: مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٩/ ٢٨٩).

(٣) النجم: ٣٨.

(٤) تفسير العثيمين: الحجرات - الحديد (ص: ٢٤١). تفسير الحجرات – الحديد، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الناشر: دار الثريا للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.



ختامًا: لله در الشاعر:

دَعِيُّ القومِ ينصُرُ مُدَّعيه وَيُلحِقُهُ بذي الحَسَبِ الصَّميمِ
أَبِي الإسْلامُ لا أبَ لي سِوَاه إنِ افتخـــروا بقيسٍ أو تميـمِ[١]

فإن كنتَ تفتخر بنسبك إلى كذا؛ فالمسلم يفتخر بنسبه إلى صلاة الفجر، كما يفتخر بنسبه إلى قراءة القرآن، وأيضًا يفتخر بنسبه إلى الدعوة إلى الله، وإلى الجهاد في سبيل الله، وإلى سائر شرائع الإسلام.

(١) ينظر: الكامل في اللغة والأدب (٣/ ١٣٣). الكامل في اللغة والأدب، المؤلف: محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (المتوفى: ٢٨٥هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة، الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

٢١ شوَّال

حُفَّت النار بالشهوات

إنَّ هذه الحياة الدنيا ميدانٌ للجهاد، والله تعالى يقول:﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[١]، والجهاد في هذه الحياة في مجالين عظيمين؛ وهما: ملازمة الطاعات والمحافظة عليها، وتجنُّب المعاصي والبُعْد عنها، ومَن أكرَمَه اللهُ عزَّ وجلَّ بتحقيق هذا الجهاد؛ فاز يوم القيامة فوزًا عظيمًا، قال الله تعالى:﴿ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴾[٢].

والشهوات: هي ما تميل إليها النفس، من غير تعقُّل ولا تبصُّر، ولا مُراعاة لدِين، ولا مراعاة لمروءة. وأصل الشهوة نزوع النفس إلى ما تريده، وذلك في الدنيا ضربان: شهوة صادقة وشهوة كاذبة؛ فالصادقة ما يختلُّ البدن مِن دونها كشهوة الطعام عند الجوع، والكاذبة ما لا يختلُّ البدن مِن دونها، وقد يُسمَّى المشتَهَى شهوة، وقد يُقال للقوَّة التي تَشتهِي الشيء شهوة.

ومن أسباب إثارة الشهوات:

ضعف الإيمان واليقين بالله: فالجهل به سبحانه، وعدم محبَّته وإجلاله وتعظيمه وخشيته؛ تجعل الإنسان يستخفُّ بوعد الله عزَّ وجلَّ ووعيده، والله سبحانه لا تخفى عليه خافية، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ﴾[٣].

قال ابن القيم- رحمه الله-: ومن ظنَّ أنَّه يقوى على ترْك المخالفات والمعاصي بدون الإيمان الراسخ الثابت فقد غلط، فإذا قوى سراج الإيمان في القلب، وأَضاءَت جهاته كلُّها به، وأشرق نوره في أرجائه؛ سرى ذلك النور إلى الأعضاء، وانبعث إليها، فأسرعت الإجابة لداعي الإيمان، وانقادت له طائعة مُذلَّلة غير مُتثاقِلة ولا كارهة، بل تفرح بدعوته حين يدعوها، كما يفرح الرجل بدعوة حبيبه المحسِن إليه إلى محلِّ كرامته. فهو كلُّ وقتٍ يترقَّب داعيه، ويتأهَّب لموافاته[٤].

---

(١) العنكبوت: ٦٩.

(٢) آل عمران: ١٨٥.

(٣) غافر: ١٩.

(٤) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص: ٢٧٥). طريق الهجرتين وباب السعادتين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار السلفية، القاهرة، مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٤هـ.

كذلك اتِّباع الشيطان: قال تعالى:﴿ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾[١]؛ فالشيطان هو أخبثُ عدوٍ للإنسان، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾[٢]. فقد أعمل الشيطان مكائده على المسلمين وألقى بأسهم بينهم، وأفشى بينهم فتنة الشبهات والشهوات، ولم تزل هاتان الفتنتان تتزايدان شيئًا فشيئًا حتَّى استحكمتْ مكيدة الشيطان، وأطاعه أكثرُ الخَلْق، فمنهم من دخل في طاعته في فتنة الشبهات، ومنهم من دخل في فتنة الشهوات، ومنهم مَن جَمَعَ بينهما.

ومن آفات الشهوات: أنَّها سببٌ في هوان العبد على ربِّه: قال الحسن البصري- رحمه الله-: هانوا عليه فعصوه، ولو عزُّوا عليه لعصمهم، وإذا هان العبد على الله لم يُكرمْه أحدٌ، كما قال الله تعالى:﴿ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ﴾[٣]؛ فأهل العصيان وإن عظَّمهم الناس في الظاهر لحاجتهم إليهم أو خوفًا من شرِّهم؛ فهم في قلوبهم أحقر شيء وأهونه هوان المعاصي على المصِرِّين، ولا يزال العبد يرتكب الذنب حتَّى يهون عليه، ويصغر في قلبه، وذلك علامة الهلاك، فإنَّ الذنب كلَّما صغر في عين العبد عظم عند الله[٤].

كذلك الشهوات سببٌ في دخول النار: فعن أنس بن مالك- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ". رواه مسلم[٥].

قال الشيخ العلَّامة ابن باز- رحمه الله- هذا حديث صحيح، وفي رواية البخاري:" حُجِبتِ النَّار بالشهوات، وحُجِبتِ الجنَّة بالمكاره"[٦] المعنى: أنَّه جعل بين النار وبين الإنسان ارتكاب الشهوات المحرَّمة، فإنِ ارتكبها صار إلى النار وانتهك الحجاب، وإن امتنع منها سلم، فالنفس قد تشتهي الزنا أو الخمر، فإن طاوعها صار إلى النار، قد تشتهي ترْك الصلاة والكسل ولا يُصلِّي، فإن طاوع النفس

(١) النور: ٢١.

(٢) فاطر: ٦.

(٣) الحج: ١٨.

(٤) ينظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي مشكل (ص: ٥٨). الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار المعرفة – المغرب، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

(٥) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢١٧٤) برقم (٢٨٢٢) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٦) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ١٠٢) برقم (٦٤٨٧) كتاب الرقاق باب حجبت النار بالشهوات.



صار إلى النار نعوذ بالله، قد تشتهي سبَّ الدين والاستهزاء، فإن طاوع نفسه كفر وصار إلى النار، قد تشتهي الرِّبا، فإن طاوع نفسه وفعَلَ الربا صار إلى النار، قد تشتهي النفس قطيعة الرحم والعقوق للوالدين، فإن طاوعها هلك وصار إلى النار، فالنار حُفَّت بالشهوات المحرَّمة[١].

وهذا من بديع كلامه صلى الله عليه وسلم وجوامعه الذى أوتيه من التمثيل الحسن، فإنَّ حفاف الشيء جوانبه، فكأنَّه أخبر صلى الله عليه وسلم أنَّه لا يُوصَل إلى الجنَّة إلَّا بتخطِّي المكاره وكذلك الشهوات، وما تميل إليه النفوس، وأنَّ اتِّباع الشهوات يُلقي فى النار ويُدخِلُها، وأنَّه لا ينجو منها إلَّا مَن تجنَّب الشهوات. وفيه تنبيه على اجتنابها.

فأمَّا المكاره فيدخل فيها الاجتهاد في العبادات، والمواظبة عليها، والصبر على مشاقِّها، وكظْم الغيظ والعفو والحلم، والصدقة والإحسان إلى المسيء، والصبر عن الشهوات، ونحو ذلك.

وأمَّا الشهوات التي النار محفوفةٌ بها؛ فالظاهر أنَّها الشهوات المحرَّمة كالخمر والزنا، والنظر إلى الأجنبية، والغيبة، واستعمال الملاهي، ونحو ذلك، وأمَّا الشهوات المباحة فلا تدخل في هذه، لكن يُكرَه الإكثارُ منها؛ مخافة أن يجُرَّ إلى المحرَّمة، أو يُقسِّي القلب، أو يشغل عن الطاعات، أو يحوج إلى الاعتناء.

ولله درُّ القائل:

صبرتُ على الأيامِ حتَّى تولَّتْ ... وألزمتُ نفسي صبرَها فاستمرَّتِ
وَمَا النَّفــسُ إلَّا حيث يجعلها الفتى ... فإن طمعتْ تاقتْ وإلَّا تسلَّتِ[٢]

وممَّا يُساعِد على دفْع الشهوات: دوام المراقبة لله والخوف منه سبحانه؛ فالمراقبة هي: دوام عِلْم العبد، وتيقُّنه باطِّلاع الحقِّ سبحانه وتعالى على ظاهره وباطنه. قال تعالى: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٌ وَأَجۡرٌ كَبِيرٌ**﴾[٣].

والخلاصة أنَّ النَّار حُجِبتْ بالشهوات، والجنَّة حُجِبتْ بالمكاره، فجاهدْ نفسك على ما يُحبُّ اللهُ وإن كرِهتْ، واعلمْ أنَّك إذا أكرَهتَ نفسك على طاعة الله؛ أحببتَ الطاعة وألِفْتَها، وصرتَ- بعد ما كنتَ تكرهُها- تأبى نفسُك أن تتخلَّف عن الطاعة إذا أردتَ أن تتخلَّف عنها.

---

(١) ينظر موقع سماحة الشيخ ابن باز عليه رحمة الله.

(٢) ينظر: أدب الدنيا والدين (ص: ٣١).

(٣) الملك: ١٢.



إنَّ الذنوب والمعاصي تضرُّ ويصلُ ضررُها إلى القلب، كضرر السموم في الأبدان على اختلاف درجاتها في الضرر، فهي تورث الذُّلَّ، وتُفسِد العقل، وتُضعِف الغيرة، وتُذهِب الحياء، وتُزيل النِّعم، وتمحق البركة، واتِّباع الشهوات يُسبِّب ألمًا وأذىً في العاجل، ومنْعَ لذاتٍ في الآجل، فالعاقل مَن ينهى نفسه عن لذَّةٍ يُعقِبُها ألمًا، وشهوةٍ تُورثُ ندمًا.



٢٢ شوَّال

حُفَّت الجنَّة بالمكاره

الجنَّة طريق المشتاقين، وغاية المؤمنين العابدين، وأمل القانتين المخْبِتين، حُفِّتْ بالمكاره، واستعصتْ على كل جاحد وكاره، فيَا سَعدَه مَن جدَّ إليها في الطلب، وسعى إليها وما هرب، وبَذَلَ لها النفيس والغالي، وكان من أهل الهمم والمعالي، ولم تُقعِده الدنيا عن طلبها والسعي إليها، ولا الشهوات والملذَّات عن وقف القلب والنفس عليها، فهي غاية الآمال، وثمرة الجدِّ والأعمال، فعن أنس بن مالك- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ". رواه مسلم[١]، وفي رواية البخاري:" حُجِبَتِ النَّار بالشهوات، وحُجِبَتِ الجنَّة بالمكاره"[٢].

والْمَكَارِهِ: هي الأمور التي تكرهها النفس لمشقَّتها، فلا يصل إلى الجنَّة أحدٌ إلَّا إذا تجرَّع من غصص هذه المكاره التي تُحيط بها، فالطريق إليها ليس سهلًا؛ بل هو طريقٌ وَعِرٌ محفوفٌ بالمتاعب والآلام، والدموع والعرق، والدم والتضحيات، وبذْل كلِّ ما في الوسع، ليس طريقًا مليئًا بالمتع والشهوات والنزوات، فمَن أراد الجنَّة ونعيمها فليوطِّن نفسه لتحمُّل هذه المكاره التي حُفَّتْ بها الجنَّة، والتي ينبغي على مَن يريد الجنَّة أن يُؤدِّيها ويقوم بها خير قيام؛ كالصبر على المِحَن والبلايا والمصائب، والصبر على الطاعات التي تشقُّ على النفس كالجهاد في سبيل الله وغير ذلك، وقد ورد من حديث أبي هريرة- رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم أنَّه قال:" لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَا جِبْرِيلُ؛ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ، فَقَالَ: يَا رَبِّ، وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا، ثُمَّ حَفَّهَا بِالْمَكَارِهِ، ثُمَّ قَالَ: اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ، فَقَالَ: يَا رَبِّ، وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ، فَلَمَّا خَلَقَ اللَّهُ النَّارَ، قَالَ: يَا جِبْرِيلُ؛ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ، فَقَالَ: يَا رَبِّ، وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلُهَا، فَحَفَّهَا بِالشَّهَوَاتِ، ثُمَّ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ؛ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ، فَقَالَ: يَا رَبِّ، وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَلَّا يَبْقَى أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا". رواه أحمد[٣].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢١٧٤) برقم (٢٨٢٢) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ١٠٢) برقم (٦٤٨٧) كتاب الرقاق باب حجبت النار بالشهوات.

(٣) رواه أحمد في مسنده (١٤/ ٢٨٩) برقم (٨٦٤٨). وأبو داود في سننه (٤/ ٢٣٦) برقم (٤٧٤٤) كتاب السنة باب في خلق الجنة والنار. والترمذي في جامعه (٤/ ٦٩٣) برقم (٢٥٦٠) أبواب صفة الجنة باب ما جاء حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات. والنسائي في السنن الكبرى (٤/ ٤٣١) برقم (٤٦٨٤) كتاب الأيمان والنذور الحلف بعزة الله سبحانه وتعالى. والحديث حسنه الألباني كما في مشكاة المصابيح (٣/ ١٥٨٧).



فمِنَ المكاره التي حُفَّتْ بها الجنَّة ما روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة- رضي الله عنه- أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال:" أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ"(١).

فقد جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث ثلاثًا من الطاعات:

١- إسباغ الوضوء على المكاره كبرودته في الشتاء القارس، أو قِلَّته أو نحو ذلك.

٢- الترغيب في كثرة الخطى إلى المساجد، ويقع ذلك في حال بُعْد المسجد، وتكرار الذهاب إليه في الظُّلَم والحرِّ والبرد والخوف وغيره.

٣- انتظار الصلاة بعد الصلاة في المسجد، فإنَّ المؤمن في صلاة ما دامت الصلاة تَحبِسه، فقد روى البخاري في صحيحه من حديث أنس- رضي الله عنه- أنَّ النبي- صلى الله عليه وسلم- قال:" أَمَا إِنَّكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا انْتَظَرْتُمُوهَا"(٢).

ومنها: الجهاد في سبيل الله، فإنَّه مكروهٌ إلى النفوس وهي تُحِبُّ الحياة، قال تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾(٣).

قال العلَّامةُ ابنُ عثيمين- رحمه الله-: والشهوات: هي ما تميل إليه النفس، من غير تعقُّل ولا تبصُّر، ولا مراعاة لدين، ولا مراعاة لمروءة. فالزنا- والعياذ بالله- شهوة الفرْج، تميل إليها النفس كثيرًا، فإذا هتَكَ الإنسانُ هذا الحجابَ؛ فإنَّه سيكون سببًا لدخوله النار، وكذلك شُرْب الخمر، تهواه النفس وتميل إليه، ولهذا جعل الشارع له عقوبة رادعة بالجَلد، فإذا هتك الإنسانُ هذا الحجابَ وشرب الخمر؛ أدَّاه ذلك إلى النَّار، والعياذ بالله. وكذلك حبُّ المال شهوةٌ من شهوات النفس، فإذا سرق الإنسان بدافع شهوة حُبِّ جَمْعِ المال؛ فلرغبة أن يستولي على المال الذي ترغبه نفسه، فإذا سرق فقد هتك هذا الحجاب؛ فيَصِلُ إلى النار، ومِن ذلك الغشُّ مِن أجل أن يزيد ثمن السلعة، هذا تهواه النفس، فيفعله الإنسان، فيهتك الحجاب

(١) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٢١٩) برقم (٢٥١) كتاب الطهارة باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١١٩) برقم (٥٧٢) كتاب مواقيت الصلاة باب وقت العشاء إلى نصف الليل. ومسلم في صحيحه (١/ ٤٤٣) برقم (٦٤٠) كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب وقت العشاء وتأخيرها.

(٣) البقرة: ٢١٦



الذي بينه وبين النار، فيدخل النار. كذلك الاستطالة على الناس، والعلوُّ عليهم، والترفُّع عليهم، كلُّ إنسانٍ يُحبُّ هذا، وتهواه النفس، فإذا فعله الإنسان فقد هتك الحجاب الذي بينه وبين النار، فيَصِلُ إلى النار، ولكن ما دواء هذه الشهوة التي تميل إليها النفس الأمَّارة بالسوء؟ دواؤها ما بعدها، قال:" وحُفَّتِ الجنَّة بالمكاره" أو" حُجِبَتْ بالمكاره"، يعني: أُحيطتْ بما تكرهه النفوس؛ لأنَّ الباطل محبوبٌ للنفس الأمَّارة بالسوء، والحقُّ مكروهٌ لها، فإذا تجاوَزَ الإنسان هذا المكروه، وأكره نفسه الأمَّارة بالسوء على فعْل الواجبات وعلى ترْك المحرَّمات، فحينئذ يَصِلُ إلى الجنَّة[١].

وختامًا: قد شبَّه الحديث الشريف حال التكاليف الشاقَّة على النفس- التي حُفَّتْ بها الجنَّة- والتي ينبغي على من يريد الجنَّة أن يُؤدِّيها ويقوم بها خير قيام، شبَّه كلَّ ذلك بحال أسوارٍ كثيفةٍ من الأشواك التي يكمن فيها كلُّ حيوانٍ ضارٍ من الوحوش والحيَّات والعقارب، وهذه الأسوار الكثيفة الكريهة مُحيطةٌ ببستانٍ عظيمٍ تلتفُّ به من كلِّ مكانٍ بحيث لا يستطيع أن يصل أحدٌ إلى هذا البستان، ولا يحظى بالتنعُّم بما فيه إلَّا بعد أن يتخطَّى هذه الأسوار البغيضة، ويتجشَّم المشاقَّ التي تلحقه حين سلوكه فيها، ولا شكَّ أنَّ ذلك يحتاج إلى جهادٍ طويل شاق وصبرٍ دائم، كذلك الجنَّة لا ينالها ويحظى بنعيمها الدائم إلَّا مَن تخطَّى شدائد دنياه مجاهدًا نفسه، صابرًا على ما يُصيبه راضيًا بقضاء الله تعالى قائمًا بتكاليف الإسلام خير قيام مُضحِّيًا بالنفس والمال في سبيل نيْل مطلوبه؛ فالجنَّة هي الثمن الذي اشترى الله به نفوس المؤمنين وأموالهم، قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾[٢]. قال شمر بن عطية: ما من مسلمٍ إلَّا لله عزَّ وجلَّ في عنقه بيعة، وفَّى بها أو مات عليها، ثمَّ تلا الآية السابقة[٣].

---

(١) شرح رياض الصالحين (٢/ ٨٧).

(٢) التوبة: ١١١.

(٣) ينظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٤/ ٢٩٦). الدر المنثور، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر: دار الفكر – بيروت.



ولله درُّ مَن قال:

يا سلعةَ الرحمنِ لستِ رخيصـــةً	بلْ أنتِ غاليةٌ على الكســلانِ
يا ســــلعةَ الرحمــنِ ليسَ ينالُهـا	في الألْفِ إلَّا واحدٌ لا اثنـــانِ
يا سلعةَ الرحمنِ أينَ المشـــــتري	فلقدْ عُرِضْتِ بأيسرِ الأثمـــانِ
يا سلعةَ الرحمنِ هلْ مِـنْ خاطِبٍ	فالمهْرُ قبْل المـوتِ ذو إمكانِ[١]

(١) الكافية الشافية (ص: ١٠٣٧). لكافية الشافية في الإنتصار للفرقة الناجية (نونية ابن القيم)، تأليف: محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية المتوفى (٧٥١هـ)، تحقيق: محمد بن عبدالرحمن العريفي | ناصر بن يحيى الجنيني | عبدالله بن عبدالرحمن الهذيل | فهد بن علي المساعد، الناشر: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع - مكة، الطبعة: الأولى ١٤٢٨هـ.



٢٣ شوَّال

يتْبعُ الميّتَ ثلاثةٌ

عن أنس بن مالك- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" يَتْبَعُ المَيِّتَ ثَلاَثَةٌ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى مَعَهُ وَاحِدٌ، يَتْبَعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَيَبْقَى عَمَلُهُ". رواه البخاري ومسلم(١). هذا الحديث الموجَز المختصَر بيَّنَ فيه النبي صلى الله عليه وسلم منزلة العمل في حياة الإنسان وبعد موته، فإنَّ الإنسان إذا مات تبعه ثلاثة كما قال صلى الله عليه وسلم:" يتْبعُ الميْتَ ثلاثَةٌ: أهلُهُ ومالُه وعمَلُه" أهله يشمل كلَّ مَن يتَّصفون بالأهل من ولد، ووالد، وزوج، وقريب، وأمَّا المال فالمقصود به كلُّ ما يُتموَّل ممَّا يتبع الإنسان، وأيضًا ما كان بسبب المال كأن يكون الإنسان له مال يُطمَع فيه، فيتبعه الناس لأجل إصابة شيء من ماله بعد موته، وأمَّا العمل فهو كلُّ ما يصدُر عن الإنسان من قولٍ أو فعلٍ، ظاهرٍ أو باطنٍ، فهذه الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة تتبع الإنسان، لصيقة به لا تفارقه، وهي أقرب ما يكون من هؤلاء الثلاثة التصاقًا بالإنسان، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم:" فيرْجِع اثنانِ ويبْقَى واحِدٌ" يرجع الأهل بعد الفراغ من دفنه، ويرجع المال إذ لا يكون مع الإنسان شيءٌ من ماله الذي اكتسبه وجمعه، كما قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ﴾(٢)؛ فيأتي الإنسان ليس معه شيء، حتَّى الثوب الذي عليه ممَّا يستر به المؤمن، ما أسرع أن يبلى ويذهب، فلا يبقى مع الإنسان شيءٌ إلَّا العمل.

قال الحافظ ابن حجر- رحمه الله-: قوله" يَتْبَعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ": هذا يقع في الأغلب، ورُبَّ مَيتٍ لَا يتبعه إِلَّا عملُه فقط، والمراد مَن يتبع جنازته مِن أهله ورفقته ودوابه على ما جرتْ به عادة العرب، وإذا انقضى أمر الحزن عليه رجعوا، سواء أقاموا بعد الدفن أم لا(٣).

وسُئِل الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله-: الرسول صلى الله عليه وسلم يقول:" يَتْبَعُ المَيِّتَ ثَلاَثَةٌ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى مَعَهُ وَاحِدٌ، يَتْبَعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَيَبْقَى عَمَلُهُ" كيف أنَّ

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ١٠٧) برقم (٦٥١٤) كتاب الرقاق باب سكرات الموت. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٢٧٣) برقم (٢٩٦٠) كتاب الزهد والرقائق.

(٢) الأنعام: ٩٤.

(٣) ينظر: فتح الباري لابن حجر (١١/ ٣٦٥). فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.



مالَه يتبعه؟ فأجاب: قال أهل العلم- رحمهم الله تعالى-: هذا في الميّت الذي له أرقَّاء يتبعونه، والأرقَّاء أمواله يُباعون ويُشترون. وقال بعض العلماء: المراد بماله هو ما يُكرَم من أجله، يعني أنَّ الناس غير أقاربه وغير أهله؛ يخرجون معه من أجل ماله إذا كان تاجرًا، فعبَّر بالمال عن التابعين من أجل المال، ولهذا نجد الفقير إذا صُلِّي عليه في المسجد لا يتبعه إلَّا الذين يحملون النعش فقط، أربعة، أو خمسة، أو ستَّة، لكن إذا كان غنيًّا ملأوا المسجد إلَّا ما شاء الله، فهذا تبع المال. ورُبَّما يُقال: المال ما يُعطَى به من أكسية أو نحوها، يرجع، فيكون هذا هو المراد بالمال؛ لكنَّ هذا ضعيف. فالمعنى إمَّا أن يُقال: إنَّ المراد بالمال العبيد الأرقَّاء، أو يُراد بالمال ما يُكرَم به من أجله، وهو كثرة الناس الذين ليسوا من أهل الميت. والله أعلم(١).

قال:" ويبقَى عملُهُ" يرجع اثنان ويبقى الثالث وهو العمل، والعمل يبقى وهو القرين الذي لا يُفارِق الإنسان كما قال الله تعالى:﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ﴾(٢). طائره يعني عمله، فكلُّ إنسان يلازمه عمله لا ينفكُّ عنه، وهذه الملازمة تترتَّب عليها المجازاة، فإنَّ الإنسان إنَّما يُجازَى بما كان يعمل، وبما كان يصنع، وبما يصدر عنه من قول أو فعل ظاهر أو باطن، ولذلك ينبغي للإنسان أن يُجوِّدَ مَن يصاحبه وهو العمل الذي لا يُفارِقه، فهو يُصاحبه في قبره، ثم يُصاحبه بعد بعثه ونشوره، ثم يُصاحبه في مقرِّه ومنزله في جنَّة أو نار. أمَّا مصاحبته في القبر فكما في حديث البراء بن عازب:" أنَّ الإنسان إذا قُبِرَ جاءه عمله إن كان طيِّبًا بصورة حسنة، وريح حسنة، وثياب حسنة، وأمَّا إن كان قبيحًا فيأتي على خلاف ذلك، فإن كان العمل سيِّئًا جاء بصورة قبيحة، وثياب قبيحة، وريح مُنتنة، فيُسأل في الحالة الأولى فيقول: مَن أنت؟ فيقول: أنا عملك الصالح، وفي الحالة الثانية يُسأل: مَن أنت؟ فيقول: أنا عملك السَّيِّئ". رواه وأحمد(٣).

فينبغي للإنسان أن يحرص على صُحبة العمل الصالح، والاجتهاد فيه، واحتساب الأجر فيما يلقاه في سبيله؛ فإنَّه الذي ينفعه، وهو الذي يبقى ولا يُفارِقه، كلُّ شيء يمضي ويُفارِق إلَّا العمل الصالح، حتَّى في الآخرة فإنَّه سبحانه وتعالى يقول:﴿ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾(٤)، فالعمل هو الرفيق، فلا يُرافقك ولا يكون معك إلَّا ما كان من صالح عملك، فاحرصْ على استصحاب العمل

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (١٧/ ٤٢٩).

(٢) الإسراء: ١٣.

(٣) رواه أحمد في مسنده (٣٠/ ٤٩٩) برقم (١٨٥٣٤). والحديث صححه الألباني كما في مشكاة المصابيح (١/ ٥١٢).

(٤) المؤمنون: ١٠١.



الصالح الذي تُسَرُّ به عند لقاء ربِّك، ابتداءً بالواجبات والفرائض لا تُفرِّطْ فيها، واجتهدْ في إتقانها وإصلاحها، ثم استكثرْ من الصالحات، واحتسب الأجر عند الله في ذلك، فإنَّ ما عملتَه ستلقاه، فمَن يعملْ مثقال ذرةٍ خيرًا يره، ومَن يعملْ مثقال ذرة شرًّا يره، قال الله تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾[١]؛ فإنَّ الحياة صحائف تطويها الأيام، تمرُّ سريعةً مرَّ السحاب، تحمل في طياتها الفرص التي إن لم يغتنمها الإنسان وفاتَتْه فإنَّ عاقبته الخسارة والندم، ولا يغتنمُ الفرصَ إلَّا كلُّ حريصٍ على دُنياه وآخرته، ولا يمكن لمن كان طبعه الكسل والتسويف أن يغتنم فرص الحياة؛ لما تورثه هذه الطباع من الصفات السلبية التي تحول دون سعي الإنسان نحو ترْك بصمته الإيجابيَّة في الحياة، والتي تترك أثرًا لا يغيب مهما توالت الأيام والسنوات، والكيِّس الفطن مَن يعي هذه المعاني ويعمل على ترْك الأثر الحَسَن في دنياه قبل رحيله عنها إلى الدار الآخرة، فيجتهد في بذْل الخير للخلْق، ومُساعدة المحتاجين، ويسعى في نصْح الناس وهدايتهم إلى طريق الحقِّ؛ بالدعوة إلى الله، وإرشادهم إلى لزوم الطاعة، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، ويجعل مِن أهدافه ومهامه في هذه الحياة أن يكون عونًا للناس على الخير، سندًا للضعفاء وغوثًا للمحتاجين، يضع بذلك بصمته، ويغرس به أثرًا يبقى بعده، وآثار الناس تبقى؛ سواءً كانت خيرًا أم شرًّا، ثم يُجزَى الإنسان بها، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمْۚ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾[٢]؛ فأعمال الإنسان مُسجَّلة بما فيها مِن آثار الخير والشرِّ التي كان الإنسان سببًا فيها سواءً في حياته أم بعد مماته، والمؤمن يحرص دائمًا على ترْك الأثر بين الناس ليُجزَى به في الآخرة، فيكون حاله في هذه الدنيا بين نشْر العلم النافع، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبين بذْل الخير للناس.

وفي الختام؛ على العبد أن يختار أنيسه في الدار الآخرة، ولن يجد أنيسًا ولا مُؤنِسًا أفضل من العمل الصالح.

لَا دارَ للمرءِ بعدَ الموتِ يَسكُنُهَا ... إلَّا الَّتِي كَانَ قَبْلَ الْمَوْتِ يَبْنِيهَا
فَإِنْ بَنَاهــــا بِخيرٍ طَابَ مَسْكَنُه ... وإنْ بَنَاها بِشَرٍّ خَــابَ بَانيهَا[٣]

---

(١) الكهف: ١١٠.

(٢) يس: ١٢.

(٣) ينظر: مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي (٣/ ٣٩٤).



٢٤ شوَّال

ولكن ساعة وساعة (حديث حنظلة ومعنى ساعة وساعة)

هذا مشهد من حياة أحد الصحابة الأكرمين، إنَّه الصحابي المجاهد البطل الشهيد: حنظلة بن أبي عامر عمرو بن صيفي الأنصاري الأوسي المدني، الذي كان من سادات الصحابة وفضلائهم، وكان من أهل الصُّفَّة الأتقياء الأوفياء، وقد استُشهد في غزوة أحد، وغسَّلتْه الملائكة كما جاء في الخبر، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه.

وهذه الوصيَّة النبويَّة جاءت بعد قصَّة قصيرة ذكرها الرواة لتكون سببًا لورودها. إنَّ البيوت الربانيَّة لا تضيع عليها ساعة سُدًى، فالساعات عديدة لكن النِّيَّة واحدة.

فعن حنظلة الأسيدي- رضي الله عنه- قال: لقيني أبو بكر، وقال: كيف أنتَ يا حنظلة؟ قلتُ: نافَقَ حنظلة. قال: سبحان الله، ما تقول؟ قلتُ: نكون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يُذكِّرُنا بالنَّار والجنَّة حتَّى كأنَّا رأْي عين، فإذا خرجْنا من عنده عافسْنا (أي: خالطنا ولاعبنا) الأزواج والأولاد والضيعات فنسينا كثيرًا. فقال أبو بكر: فوالله إنَّا لنلقى مثل هذا. قال حنظلة: فانطلقتُ أنا وأبو بكر حتَّى دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، قلتُ: نافَقَ حنظلة يا رسول الله، فقال: وما ذاكَ؟ قلتُ: يا رسول الله؛ نكون عندك تُذكِّرُنا بالنَّار والجنَّة كأنَّا رأي عين، فإذا خرجنا من عندك عافَسْنا الأزواج والأولاد والضيعات ونسينا كثيرًا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" والذي نفسي بيده؛ لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذِّكْر لصافحتْكم الملائكة على فُرُشِكم وفي طُرُقِكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة؛ ثلاثَ مرَّاتٍ". رواه مسلم[1].

قال العلَّامةُ ابنُ عثيمين- رحمه الله- شارحًا الحديث الشريف: عن حنظلةَ الكاتب، أحدِ كُتَّاب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، أنَّه قال: لقيني أبو بكر- رضي الله عنه- فقلتُ: نافَقَ حنظلة- يعني نفسه- ومعنى نافَقَ: يعني صار من المنافقين، قال ذلك ظنًّا منه- رضي الله عنه- أنَّ ما فعله نفاقٌ، فقال أبو بكرٍ: وما ذاك؟ فقال- رضي الله عنه-: نكون عند رسول الله- صلى الله عليه وسلم يُذكِّرُ بالجنة والنار حتَّى كأنَّا رأيَ عينٍ، يعني كأنَّما نرى الجنَّة والنَّار رأيَ عينٍ من قوة اليقين، حيث يخبرهم بذلك صلى الله عليه وسلم، وما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم فإنَّه كالمشاهَدِ، بل قد يكون أعظم؛ لأنَّه خبرٌ مِن أصدقِ الخلْق- صلوات الله وسلامه عليه-، وأعلم الخلْق بالله. فإذا

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢١٠٦) برقم (٢٧٥٠) كتاب التوبة باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة والمراقبة وجواز ترك ذلك في بعض الأوقات والاشتغال بالدنيا.



خرجْنا من عنده عَافَسْنا الأزواج والأولاد والضَّيْعاتِ، يعني: لهونا معهم ونسينا ما كُنَّا عليه عند النبي صلى الله عليه وسلم، فقال أبو بكرٍ عن نفسِه: إنَّه يُصيبُه كذلك، ثم ذهبا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فلمَّا وصلا إليه قال حنظلةُ: نافَقَ حنظلة يا رسولَ اللهِ، قال: وما ذاك؟ فأخبره بأنَّهم إذا كانوا عند النبي صلى الله عليه وسلم فحدَّثهم عن الجنَّة والنَّار، أخَذَهم من اليقين ما يجعلُهم كأنَّهم يرونهما رأي العينِ، ولكن إذا خرجوا عافَسُوا الأهل والأولادَ والضَّيعاتِ وتلهَّوا بهم نَسُوا كثيرًا. فقال النبي- عليه الصلاة والسلام-:" وَالَّذِي نَفْسِي بيَدِهِ؛ إنْ لَوْ تَدُومُونَ علَى ما تَكُونُونَ عِندِي وفي الذِّكْرِ، لَصَافَحَتْكُمُ المَلَائِكَةُ علَى فُرُشِكُمْ وفي طُرُقِكُمْ". رواه مسلم. أي من شدَّةِ اليقينِ تُصافحكم إكرامًا لكم وتثبيتًا لكم؛ لأنَّه كلَّما زاد يقين العبد، فإنَّ الله سبحانه وتعالى يُثبِّتُه ويُقوِّيه، كما قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدًى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ﴾[١]، ولكن يا حنظلةُ ساعةً وساعةً، ومعنى ساعة وساعة أي: كقوله صلى الله عليه وسلم:" فَسَدِّدُوا وقَارِبُوا". رواه البخاري، ساعة تحضرون مجلس الذِّكر، وساعة تتعبَّدون لله، تُصلُّون وتذكرونه وتقرأون القرآن، وساعة تقومون بحقوق الزوجات والأولاد، وتقومون بما يُصلح معايشكم من تجارة وحرفة وصناعة وما إلى ذلك. وهذه سُنَّةُ الله في هذه الحياة[٢].

ويتعلَّق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: ينبغي للمسلم أن يكون حريصًا على تقوية إيمانه ومحاسبة نفسه؛ كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ ﴾[٣]، ولقد حرص الصحابة- رضي الله عنهم- والسلف الصالح على ذلك. روى الأسود بن هلال المحاربي قال: قال لي معاذٌ: اجلس بنا نؤمن ساعة[٤]، يعني نذكر الله، وفي لفظ: كان معاذٌ يقول لرجل من إخوانه: اجلس بنا فلنؤمن ساعة، فيجلسان يذكران الله ويحمَدانه[٥]. وقال عليٌّ بن أبي طالب – رضي الله عنه-: أجمُّوا هذه القلوب؛ فإنَّها تَملُّ كما تَملُّ الأبدان[٦]. أي تَكِلُّ.

---

(١) محمد: ١٧.

(٢) ينظر: شرح رياض الصالحين (٢/ ٢٣٥).

(٣) الحشر: ١٨.

(٤) رواه البخاري تعليقًا في صحيحه (١/ ١١).

(٥) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ١٦٤) برقم (٣٠٣٦٥).

(٦) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١/ ٤٣٣) برقم (٦٥٩). جامع بيان العلم وفضله، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.



الفائدة الثانية: ينبغي للمسلم أن يكون حريصًا على مجالس الذِّكر؛ فإنَّها روضة من رياض الجنة، يحصل فيها الخير والأجر، ويقوم منها وقد غُفر له ذنبُه، وأُجيبتْ دعوته، تحفُّه الملائكة، وتغشاه الرحمة، ويذكره الله فيمن عنده، فأيُّ فضلٍ أكبر من هذا؟ وينبغي للمسلم أن يكون حذرًا من التشبُّه بمَن قال الله فيهم: ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴾[1]، فهم ينفِرون عن مجالس ذكْر الله والموعظة كما تنفِر الحُمُرُ مِن الأسَد، بل وصل الحال ببعضهم أنَّهم يُنفِّرون منها غيرهم.

الفائدة الثالثة: يُبيِّنُ الحديثُ أنَّ المسلم إذا أُشكِل عليه شيءٌ في أمر دينه، فإنَّه ينبغي له أن يُراجع أهل العلم؛ حتَّى يتبيَّن الحُكم الشرعي فيما هو فيه، والناس في هذا متفاوتون؛ فمنهم مَن لا يَسأل عن أمر دِينه ألبتة، ومنهم مَن قد يُفتي نفسه ويعمل بما بدا له، ومنهم مَن يتبرَّع له بعض الجُهَّال فيفتيه بما يهواه، فيقنع بفتواه، ويظنُّ أنَّ هذا يكفيه، ويكون حُجَّة له بين يدي ربِّه، وما علِم المسكين أنَّه لما كان مُقصِّرًا في السؤال الواجب عليه بقوله تعالى: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[2]؛ كان عليه إثم تقصيره بالسؤال، وإثم غلَطه، كما أنَّ هذا المتقحِّم للفتوى بغير علمٍ عليه من الإثم نصيب وافر.

الفائدة الرابعة: الخوف من النفاق: قال الحافظ ابن رجب الحنبلي: ولما تقرَّر عند الصحابة- رضي الله عنهم- أنَّ النفاق هو اختلاف السر والعلانية؛ خشي بعضهم على نفسه أن يكون إذا تغيَّر عليه حضور قلبه ورقَّته وخشوعه عند سماع الذكر برجوعه إلى الدنيا والاشتغال بالأهل، والأولاد، والأموال أن يكون ذلك منه نفاقًا، كما في صحيح مسلم عن حنظلة الأسدي[3].

سبحان الله! يخاف حنظلة على نفسه النفاق وهو أحد كُتَّاب الوحي، ولا يمكن أن يكون أحدُ المنافقين كاتبًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا يدلُّ دلالة واضحة على خطر النفاق، وأنَّ أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يتخوَّفونه على أنفسهم، ولهذا جاء عن بعضهم:" ما خافه إلَّا مؤمنٌ، وما أَمِنَهُ إلَّا مُنافقٌ"[4].

---

(١) المدثر: ٤٩- ٥١.

(٢) النحل: ٤٣.

(٣) جامع العلوم والحكم (٢/ ٤٩٤). جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، المحقق: شعيب الأرناؤوط – إبراهيم باجس، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: السابعة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

(٤) رواه البخاري تعليقًا في صحيحه (١/ ١٨).



الخلاصة: أنَّ مَن كانت إرادته مُتمحضَّة للدنيا؛ مِن أجْلها يقوم، ومِن أجْلها يقعد، ومِن أجْلها يعمل، ومِن أجْلها يكدح، لا يريد ما عند الله تعالى فإنَّه مُتوعَّدٌ بالنَّار، والإنسان لا يُعابُ إذا طلب الدنيا، ولكنَّ ذلك الطلب لا يُنسيه الآخرة، فهو يُصلِح قلبه ويتعاهد نفسه، ويتوب من ذنوبه، ويعمل الأعمال الصالحة التي تُقرِّبه إلى الله تعالى، وتُعمِّر آخرته ولا يكون من الغافلين، هذا هو الطريق، وهو المخرَج بإذن الله تعالى.

٢٥ شوَّال

الأُخوَّة في الله

الأُخوَّة في الله منحة ربانيَّة، ونعمة إلهيَّة، يقذفها الله في قلوب المخلِصين من عباده، والأصفياء من أوليائه، والأتقياء من خلْقه؛ قال تعالى: ﴿لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا﴾(٢)؛ فلا يخفى على أحدٍ أنَّه لم يكن الناس في جاهليَّتهم يعرفون شيئًا اسمه (الحبُّ في الله)، وكانت العلاقات التي تربط بعضهم ببعض علاقات منشؤها الأرض، أو النسب، أو ما شابه ذلك، فجاء الله بنور الإسلام، وسما بتلك العلاقات، فجعل علاقة الدِّين أرفعها وأجلَّها، ورتَّب على هذه العلاقة الأجر والثواب، والحُبَّ والبُغض، فنشأ مع الإسلام مصطلح (الأُخوَّة في الله، والحُبِّ في الله). فالحُبُّ في الله يعني: محبَّة المسلم لما فيه من خصال الخير والطاعة لله تعالى، فليست لأجْل المال، ولا النسب، ولا الوطن، ولا غير ذلك.

والأُخوَّةُ في الله علامةُ الإيمان؛ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾(٣)؛ فإذا وُجدَتِ التقوى والإيمان في عبدٍ ولم تُوجدْ أُخوَّةٌ صادقةٌ، فهو إيمانٌ ناقصٌ، وتقوى مزعومة؛ لأنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال:" لا يؤمن أحدُكم حتَّى يُحبَّ لأخيه ما يُحبُّ لنفسه". رواه البخاري(٤).

والمتحابُّون في الله يعطيهم الله النور والأمن يوم القيامة، يقول صلى الله عليه وسلم:" إنَّ مِن عبادِ اللهِ لَأُناسًا ما هم بأنبياءَ ولا شُهداءَ، يَغبِطُهم الأنبياءُ والشُّهداءُ يومَ القيامةِ بمكانِهم مِن اللهِ تعالى، قالوا: يا رسولَ اللهِ؛ تُخبِرُنا مَن هم؟ قال: هم قومٌ تحابُّوا برُوحِ اللهِ على غيرِ أرحامٍ بَيْنَهم، ولَا أموالٍ يتعاطَوْنَها، فواللهِ إنَّ وجوهَهم لَنُورٌ، وإنَّهم على نُورٍ، لا يخافونَ إذا خاف النَّاسُ، ولا يحزَنونَ إذا حزِن النَّاسُ، وَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾(٥) ". رواه أبو داود(٦).

---

(١) الأنفال: ٦٣.

(٢) آل عمران: ١٠٣.

(٣) الحجرات:١٠.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٢) برقم (١٣) كتاب الإيمان باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه. ومسلم في صحيحه (١/ ٦٧) برقم (٤٥) كتاب الإيمان باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير.

(٥) يونس: ٦٢.

(٦) رواه أحمد في مسنده (٣٧/ ٥٤٠) برقم (٢٢٩٠٦). وأبو داود في سننه (٣/ ٢٨٨) برقم (٣٥٢٧) كتاب البيوع باب في الرهن. والنسائي في السنن الكبرى (١٠/ ١٢٤) برقم (١١١٧٢) كتاب التفسير، قوله تعالى: {ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون} [يونس: ٦٢]. والحديث صححه الألباني كما في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٢/ ٥٤).



ومن فضائل الحُبِّ في الله:

١- محبَّة الله تعالى للمُتحابِّين فيه، فعن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم:" أنَّ رجلًا زار أخًا له في قرية أخرى، فأرصد الله له على مدرجته ملكًا، فلمَّا أتى عليه، قال: أين تريد؟ قال: أريد أخًا لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمةٍ تربُّها؟ قال: لا، غير أنِّي أحببْتُه في الله عزَّ وجلَّ، قال : فإنِّي رسول الله إليك أنَّ الله قد أحبَّك كما أحببْتَه فيه". رواه مسلم[١]، وفي الحديث القدسي:" قال اللهُ عزَّ وجلَّ: وجبتْ محبَّتي للمُتحابِّين فيَّ، والمتجالسين فيَّ، والمتزاورين فيَّ، والمتباذلين فيَّ". رواه أحمد[٢].

٢- المتحابُّون في الله تعالى في ظلِّ عرشه يوم لا ظلَّ إلَّا ظلُّه، قال صلى الله عليه وسلم:" سبعة يُظلُّهم الله في ظلِّه يوم لا ظلَّ إلَّا ظلُّه؛ (منهم): ورجلان تحابَّا في الله، اجتمعا عليه، وتفرَّقا عليه". رواه البخاري[٣]، وقال صلى الله عليه وسلم:" إنَّ الله يقول يوم القيامة: أين المتحابُّون بجلالي، اليوم أُظلُّهم في ظلِّي يوم لا ظلَّ إلَّا ظلِّي". رواه مسلم[٤].

٣- الحُبُّ في الله من أسباب دخول الجنَّة، قال صلى الله عليه وسلم:" لا تدخلون الجنَّة حتَّى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتَّى تحابُّوا". رواه مسلم[٥].

وللأُخوَّة آدابٌ تُشعِر بصدق هذه المحبَّة في الله تعالى، فمنها:

١- السلام والبشاشة عند اللقاء، قال صلى الله عليه وسلم:" لا تحقرنَّ من المعروف شيئًا، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق". رواه مسلم[٦].

٢- الهدية، ولها أثر كبير في زيادة المحبَّة، وإذهاب ما في النفوس، قال- صلى الله عليه وسلم-:" تهادُوا تحابُّوا". رواه البخاري في الأدب المفرد[٧].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٩٨٨) برقم (٢٥٦٧) كتاب البر والصلة والآداب باب في فضل الحب في الله.

(٢) رواه أحمد في مسنده (٣٦/ ٣٥٩) برقم (٢٢٠٣٠). والحديث صححه الألباني كما في مشكاة المصابيح (٣/ ١٣٩٥).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٣٣) برقم (٦٦٠) كتاب الأذان باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد. ومسلم في صحيحه (٢/ ٧١٥) برقم (١٠٣١) كتاب الزكاة باب فضل إخفاء الصدقة.

(٤) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٩٨٨) برقم (٢٥٦٦) كتاب الزكاة باب في فضل الحب في الله.

(٥) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٧٤) برقم (٥٤) كتاب الإيمان باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، وأن محبة المؤمنين من الإيمان، وأن إفشاء السلام سببا لحصولها.

(٦) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٢٦) برقم (٢٦٢٦) كتاب البر والصلة والآداب باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء.

(٧) رواه البخاري في الأدب المفرد (ص ٢٠٨) برقم (٥٩٤). والحديث حسنه الألباني كما في صحيح الأدب المفرد (ص: ٢٢١).



٣- الدعاء له، قال صلى الله عليه وسلم:" ما من عبدٍ مسلمٍ يدعو لأخيه بظهر الغيب؛ إلَّا قال المَلَكُ: ولك بمثل". رواه مسلم(١)، ويستمرُّ ذلك في حياته وبعد موته.

٤- إخباره بهذه المحبَّة،" مَرَّ رجُلٌ بالنَّبيِّ صلى الله عليه وسلم وعِندَ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم رجُلٌ جالِسٌ، فقال الرَّجُلُ: واللهِ يا رسولَ اللهِ؛ إنِّي لَأُحِبُّ هذا في اللهِ، فقال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: أخبَرْتَه بذلك؟ قال: لا، قال: قُمْ فأَخبِرْهُ؛ تَثْبُتِ المودَّةُ بيْنكما. فقام إليه فأخبَرَه، فقال: إنِّي أُحِبُّك في اللهِ، أو قال: أُحِبُّك للهِ، فقال الرَّجُلُ: أَحَبَّك الذي أحبَبْتَني فيه". رواه أبو داود وأحمد(٢).

٥- الزيارة، والأفضل كونها بين فترة وأخرى، لا قليلة فتُنتِج الجفاء، ولا كثيرة فتؤدِّي إلى السآمة والملل.

٦- المعونة، وقضاء الحوائج، وأعلى مراتبها: تقديم حوائجه على حوائج النفس، وأوسطها القيام بحوائجه من غير طلب منه، مع كونها غير متعارضة مع حوائج النفس، وأقل ذلك القيام بحوائجه بعد طلبه.

٧- ستْر معايبه، وحفْظ سرِّه والقيام له بحقِّ النصيحة بأدبٍ وستْر، والدفاع عن عِرْضه، والتجاوز عن زلَّاته، وحُسْن الخُلُقِ معه، وغير ذلك.

ولِما للصاحب من تأثيرٍ على صاحبه؛ فالواجب على المسلم أن يعتني بمَن يختاره لصُحبته، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم:" الرجل على دِينِ خليله، فلْينظرْ أحدُكم مَن يُخالِل". رواه أبو داود(٣)، ومن أهمِّ الصفات التي ينبغي اتِّصاف الصاحب بها:

١- أن يكون ذا دِينٍ وتقوى، وعلامته: حرْصٌ على فرائض الله، كالصلاة ونحوها، ونظافة لسانه من السبِّ واللعن والغيبة وغيرها، ونصْحه لصاحبه، ومحبَّته للصالحين، وبُعْده عن الرذائل والفواحش، وإعانته على الطاعة وتثبيطه عن المعصية، ونحو ذلك من الصفات، وعلامة

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٩٤) برقم (٢٧٣٢) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب.

(٢) رواه أحمد في مسنده (٢١/ ١٦٩) برقم (١٣٥٣٥). وأبو داود في سننه (٤/ ٣٣٣) برقم (٥١٢٥) كتاب الأدب باب إخبار الرجل الرجل بمحبته إياه. والنسائي في السنن الكبرى (٩/ ٧٩) برقم (٩٩٣٩) كتاب عمل اليوم والليلة، ما يقول لأخيه إذا قال: إني لأحبك. والحديث حسنه الألباني كما في مشكاة المصابيح (٣/ ١٣٩٧).

(٣) رواه أحمد في مسنده (١٤/ ١٤٢) برقم (٨٤١٧). وأبو داود في سننه (٤/ ٢٥٩) برقم (٤٨٣٣) كتاب الأدب باب من يؤمر أن يجالس. والترمذي في جامعه (٤/ ٥٨٩) برقم (٢٣٧٨) أبواب الزهد باب بدون ترجمة. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/ ٥٩٧).



ضدِّه بضدِّ ذلك، قال صلى الله عليه وسلم:" لا تُصاحِبْ إلَّا مُؤمنًا، ولا يأكلْ طعامَكَ إلَّا تقي". رواه أبو داود وأحمد(١).

٢- أن يكون عاقلًا، فلا خيرَ في صُحْبة الأحمق، لأنَّه قد يُريد نفعَك فيضرُّك.

٣- أن يكون حَسَنَ الأخلاق، فسيِّئُ الخُلُق ضرره إليك واصل، ولو لم يكن من ذلك إلَّا أنَّه قد يُعديك بسوءِ طباعه، أو يُؤذيك بكثرة خصامه.

٤- أن يكون صاحب سُنَّة، وإيَّاك وصاحبَ البدعة، فإنَّه يجرُّك إلى بدعته، ولا أقلَّ من أن يُشوِّش فكْرك، ويُؤذي خاطرك. وكان عبد الله بن معاوية يقول:

لَا يُزهِـدَنَّكَ في أخٍ لَـكَ ... أنْ تـراه زلَّ زلَّـهْ

مَا مِنْ أخٍ لك لا يُعـابُ ... ولوْ حرصتَ الحِرْصَ كُلَّه(٢)

ختامًا: إنَّ التفريط في تحقيق معاني الأُخوَّة في الله؛ قد أدَّى إلى تفكُّك المجتمعات، وبالتالي ضعفت الأُمَّة بأسرها، فاسعوا إلى تحقيق عِزَّة أُمَّتكم من خلال تحقيق معاني الأُخوَّة في الله، ليس بينكم وبين مَن يعيش معكم في قطركم فقط، بل لا بُدَّ من تحقيقها على مستوى الأُمَّة ككلٍّ.

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١٧/ ٤٣٧) برقم (١١٣٣٧). وأبو داود في سننه (٤/ ٢٥٩) برقم (٤٨٣٢) كتاب الأدب باب من يؤمر أن يجالس. والترمذي في جامعه (٤/ ٦٠٠) برقم (٢٣٩٥) أبواب الزهد باب ما جاء في صحبة المؤمن. والحديث حسنه الألباني كما في مشكاة المصابيح (٣/ ١٣٩٧).

(٢) ينظر: الصداقة والصديق (ص: ١٢٧). الصداقة والصديق، المؤلف: أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس (المتوفى: نحو ٤٠٠هـ)، المحقق: الدكتور إبراهيم الكيلاني، الناشر: دار الفكر المعاصر - بيروت - لبنان، دار الفكر - دمشق - سورية، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.



٢٦ شوَّال

الحثُّ على الزواج واختيار المرأة الصالحة

شرع الله تعالى الزواج؛ ليكون اللبنة الأولى في المجتمع، والتي تتحقَّق من خلالها السكينة والمودَّة، وإشباع الرغبات والميول الفطري بين كلٍّ من الجنسين الذكر والأنثى، ولقد حثَّ الإسلام على حُسْن اختيار الزوجة وشدَّد فيه، فقد وردت العديد من الأدلَّة التي تحثُّ على أُسُسِ اختيار الزوجة الصالحة، ومن أهمِّ هذه الأدلَّة قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[١]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" تزوَّجوا الودودَ الولودَ، فإنِّي مُكاثِرٌ بكمُ الأمَمَ". رواه أبو داود[٢]، وقال صلى الله عليه وسلم:" الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا المرْأَةُ الصَّالِحَةُ". رواه مسلم[٣]، ويقول صلى الله عليه وسلم:" خيرُ النِّساءِ التي تسرُّه إذا نظر، وتطيعه إذا أمر، ولا تُخالِفه في نفسها ولا ماله بما يكره". رواه أحمد[٤].

وإذا كان بعض الناس يميل إلى المرأة الغنيَّة، أو الجميلة، أو ذات النسب والحسب؛ فإنَّ الشباب المسلم ينبغي أن يختار المرأة الصالحة، سواء وُجِدَتْ فيها تلك الخصال أم لا. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" تُنكَح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفرْ بذات الدين تربتْ يداك". رواه البخاري[٥].

ومن أهمِّ الأمور أن يُعنى بالدين، مثل ما قال النبي صلى الله عليه وسلم، فقد تنكح للجمال، وقد تنكح للحسب، وقد تنكح للمال، وقد تنكح للدين، لكن ينبغي للمؤمن أن تكون عنايته بالدين، لقوله صلى الله عليه وسلم:" فاظفر بذات الدين تربتْ يداك"، وقال صلى الله عليه وسلم

---

(١) الروم: ٢١.

(٢) رواه أحمد في مسنده (٢٠/ ٦٣) برقم (١٢٦١٣). وأبو داود في سننه (٢/ ٢٢٠) برقم (٢٠٥٠) كتاب النكاح باب النهي عن تزويج من لم يلد من النساء. والنسائي في السنن الكبرى (٥/ ١٦٠) برقم (٥٣٢٣) كتاب النكاح النهي عن تزويج المرأة التي لا تلد. والحديث صححه الألباني كما في مشكاة المصابيح (٢/ ٩٢٩).

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ١٠٩٠) برقم (١٤٦٧) كتاب الرضاع باب خير متاع الدنيا المرأة الصالحة.

(٤) رواه أحمد في مسنده (١٢/ ٣٨٣) برقم (٧٤٢١). والنسائي في السنن الكبرى (٥/ ١٦١) برقم (٥٣٢٤) كتاب النكاح، أي النساء خير. والحديث حسنه الألباني كما في مشكاة المصابيح (٢/ ٩٧٦).

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٧/ ٧) برقم (٥٠٩٠) كتاب النكاح باب الأكفاء في الدين. ومسلم في صحيحه (٢/ ١٠٨٦) برقم (١٤٦٦) كتاب الرضاع باب استحباب نكاح ذات الدين.



أيضًا:" إذا خَطَب إليكم مَن تَرْضَوْنَ دِينَه وخُلُقَه فزَوِّجُوه. إلَّا تفعلوا تَكُنْ فِتْنَةٌ في الأرضِ وفسادٌ عريضٌ". رواه الترمذي[١].

وكما أنَّ المرأة مأمورة بأن تتحرَّى الاختيار الملائم للزوج الصالح، فإنَّ الرجل كذلك مأمورٌ بأن يتحرَّى الاختيار الملائم للزوجة الصالحة، لتُبنى أسرة متماسكة، وتساهم في تقدُّم ورفعة الأُمَّة والمجتمع، فالزوجة الصالحة هي خير متاع الدنيا، فالمشروع للمؤمن عند الزواج أن ينظر إلى المخطوبة قبل أن يُتِمَّ العقد، فإن لم يتيسَّر له النظر؛ استعان بالثقات من أهل بيته من أُمِّه أو أخته أو زوجة أبيه أو نحو ذلك؛ بأن تنظر إلى المرأة، وتعرف حالها، وتسأل عمَّا يلزم من ذلك حتَّى يكون على بيِّنة في خِطبته، والمقصود أنَّ هذا الأساس ينبغي العناية به، إمَّا من طريق النظر إذا تيسَّر، وإمَّا من طريق بعْث مَن يعرف حالها، أو سؤال مَن يعرف حالها وأخلاقها ودينها، حتَّى يكون الزواج على بصيرة، وإذا نظر إليها فليس له أن يخلو بها، إنَّما ينظر إليها من دون خلوة، ينظر إليها مع وجود أبيها أو أخيها أو أُمِّها أو نحو ذلك ممَّن تزول معه الخلوة، وحتَّى يعرف منها ما يدعوه إلى نكاحها، أو يدعوه إلى الترْك، ويُسنّ النظر إلى المخطوبة، ليكون الرجل على بيِّنة مِن الأمر، فلا يُقدِم أو يُحجِم إلَّا عن اقتناع، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إذا خَطِبَ أحدُكم المرأة؛ فإنِ استطاع أن ينظر إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل". رواه أحمد[٢]، وعن المغيرة بن شعبة- رضي الله عنه- أنَّه خطب امرأة، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم:" أنظرتَ إليها؟ قال: لا، قال: انظرْ إليها؛ فإنَّه أحرى أن يُؤدم بينكما". رواه أحمد[٣]، ومعنى (أحرى) أي: أجدر أن يدوم الوفاق بينكما، ولا مانع أن ينظر إليها أكثر من مرَّة سواء برضاها أم لا.

---

(١) رواه الترمذي في جامعه (٣/ ٣٨٦) برقم (١٠٨٤) أبواب النكاح باب ما جاء إذا جاءكم من ترضون دينه فزوجوه. وابن ماجه في سننه (١/ ٦٣٢) برقم (١٩٦٧) كتاب النكاح باب الأكفاء. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣/ ٢٠).

(٢) رواه أحمد في مسنده (٢٢/ ٤٤٠) برقم (١٤٥٨٥). وأبو داود في سننه (٢/ ٢٢٨) برقم (٢٠٨٢) كتاب النكاح باب في الرجل ينظر إلى المرأة وهو يريد تزويجها. والحديث حسنه الألباني كما في مشكاة المصابيح (٢/ ٩٣٢).

(٣) رواه أحمد في مسنده (٣٠/ ٨٨) برقم (١٨١٥٤). والترمذي في جامعه (٣/ ٣٨٩) برقم (١٠٨٧) أبواب النكاح باب ما جاء في النظر إلى المخطوبة. والنسائي في السنن الكبرى (٥/ ١٦٢) برقم (٥٣٢٨) كتاب النكاح، إباحة النظر إلى المرأة قبل تزويجها. وابن ماجه في سننه (١/ ٥٩٩) برقم (١٨٦٥) كتاب النكاح باب النظر إلى المرأة إذا أراد أن يتزوجها. والحديث صححه الألباني كما في مشكاة المصابيح (٢/ ٩٣٢).

غير أنَّ لهذا النظر ضوابط شرعيَّة ينبغي مراعاتها، وهي:

١- ألَّا يكون فيه خلوة، لقوله صلى الله عليه وسلم:" لا يخلونَّ رجلٌ بامرأةٍ، ولا تُسافر المرأة إلَّا مع ذي محرم". رواه مسلم[1].

٢- أن يكون النظر إلى ما يظهر منها غالبًا مثل: الوجه، واليد، والقدم، والرقبة.

٣- أن يكون عازمًا على الخطبة، مُقدِمًا على الزواج، لا عابثًا.

٤- أن يغلب على ظنِّه إجابة طلبه، فإن عرف أنَّه لا يُجاب، فلا ينبغي أن ينظر إليها.

٥- ألَّا يتحدَّث عمَّا يراه من الجوانب السلبيَّة في المرأة.

وأمَّا عن اختيار الزوجة الصالحة فهو كالآتي:

١- اختيار ذات الدِّين التي يأمن الرجل معها على عرضه وبيته وماله، كما أنَّها تكون مُعينًا له على مُختلَف وجوه الخير، وتُربِّي أبناءها تربية صالحة، وتكون ذات لطف ولين، ولا تُكلِّف زوجها فوق ما يطيق.

٢- اختيار ذات الجمال: وإنَّه يجدر الإشارة إلى أنَّ الجمال نسبي، ويختلف من شخص لآخر، المهم أن يختار الرجل مَن يجد أنَّها تُشبع رغبته، وتعفُّه عن الحرام، ومَن تكون أقرب إلى الوئام والمودَّة وحُسْن المعاشرة.

٣- اختيار ذات المال: إنَّ التكاليف الماليَّة عمومًا في الزواج من واجبات الرجل، إلَّا أنَّ اختيار امرأةٍ قد تكون ذات مالٍ؛ ممَّا قد يُخفِّف عن الرجل من بعض التكاليف للكماليَّات التي تحتاجها المرأة، كما أنَّها قد تُساعده في سدِّ بعض الحوائج إذا احتاج للمال يومًا ما.

٤- اختيار ذات الحسب: إنَّ نسب المرأة ممَّا يُؤثِّر تأثيرًا مُباشرًا على الأبناء، فهم يأخذون جزءًا من الصفات الوراثيَّة لأخوالهم، كما أنَّ اختيار العائلات الراقية والمحترمة يُؤدِّي إلى تبادُل الاحترام بين كلٍّ من الرجل وعائلة زوجته، وبين الزوجة وعائلة الزوج.

٥- أن تكون الزوجة أجنبيَّة: وذلك بأن تكون من غير أقاربه، حتَّى لا يكون هذا الزواج سببًا لقطيعة الرحم خاصة عند الطلاق، ولكي يستفيد الأبناء من صفات أخوالهم، بعيدًا عن الصفات المتواجدة داخل العائلة نفسها.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ٥٩) برقم (٣٠٠٦) كتاب الجهاد والسير باب من اكتتب في جيش فخرجت امرأته حاجة، أو كان له عذر، هل يؤذن له. ومسلم في صحيحه (٢/ ٩٧٨) برقم (١٣٤١) كتاب الحج باب سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره.



٦- أن تكون بكرًا وولودًا: فقد حثَّ النبي صلى الله عليه وسلم على الزواج من البكْر؛ لأنَّها تكون أكثر تعلُّقًا بالرجل إذ لم تعهد أحدًا قبله، كما أنَّه رغَّب في الزواج مِن التي تمتلك القدرة على الإنجاب، لتحقيق رغبة الزوجين بامتلاك ذريَّة صالحة، وتكثير الأبناء، وتكثير أُمَّة محمد صلى الله عليه وسلم.

والخلاصة: أنَّ لاختيار الزوجة الصالحة أهمِّيَّة لا يمكن تجاهلها أبدًا، لذا يُنصَح دائمًا باختيار الزوجة الصالحة، وذلك لعدَّة أمور؛ من أهمِّها: دور المرأة في تربية الأبناء وتنشئتهم، وإنَّ هذا الدور على قدر أهمِّيَّته فهو خطيرٌ؛ إن لم يُوضع الأبناء بين يدي أُمٍّ تُربِّيهم بشكلٍ صحيحٍ وقويمٍ. كما أنَّ اختيار الزوجة الصالحة يضمن للأبناء أن ينشأوا في بيئة صالحة، وأسرة صالحة عالمة بالأحكام والأخلاق والآداب، ومُلِمَّة بالأركان، وعارفة بالواجبات الإسلامية، ومُتخلِّقة بها. ثمَّ إنَّ الزوجة الصالحة والواعية والمتفهِّمة لأمور دينها تستطيع أن تُربِّي أبناءها على علمٍ ونورٍ وهُدًى. وأيضًا فإنَّ الخصائص الوراثيَّة للآباء والأُمَّهات تُؤثِّر على الأبناء، وتُساعِد في عملية اكتساب الطفل للقيم والأخلاق.

وصدق مَن قال:

سعادةُ المرْءِ في خَمْسٍ إذا اجتمعتْ ... صـلاحِ جيرانِـهِ، والـبِرِّ في ولـدِهْ
وزوجةٍ حسُنتْ أخلاقُهـا، وكذا ... خِلٌّ وفيٌّ، ورزقُ المـرءِ في بلدِهْ[1]

---

(١) ينظر: عودة الحجاب (٢/ ٢٤١). عودة الحجاب، المؤلف: محمد أحمد إسماعيل المقدم، ج ١: دار طيبة (توزيع دار الصفوة) - الطبعة العاشرة، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، ج ٢: دار ابن الجوزي، القاهرة - الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥ م، ج ٣: دار القمة، دار الإيمان (الإسكندرية) - الطبعة الثانية، ٢٠٠٤م.



٢٧ شوَّال

الناس معادن والأرواح جنود مُجنَّدة

عن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" تجدون الناسَ معادنَ، خيارُهم في الجاهلية خيارُهم في الإسلام إذا فقهوا، وتجدون خير الناس في هذا الشأن أشدَّهم له كراهية، وتجدون شرَّ الناس ذا الوجهين؛ الذي يأتي هؤلاء بوجهٍ، ويأتي هؤلاء بوجهٍ". رواه البخاري ومسلم(١). ومعنى هذا اللفظ كما ذكر الحافظ ابن حجر في كتابه فتح الباري: قوله:" تجدون الناس معادن" أي أصولًا مُختلفة، والمعادن جمع معدن، وهو الشيء المستقِرُّ في الأرض، فتارة يكون نفيسًا، وتارة يكون خسيسًا، وكذلك الناس(٢).

وعن عائشة- رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ". رواه مسلم(٣). فالألفة توفيقٌ من الله تعالى، لأنَّه سبحانه وتعالى هو الذي بيده القلوب، ولا أعظم من أكبر ألفةٍ في التاريخ، حينما ألَّف الله تعالى للنَّبيِّ صلى الله عليه وسلم بين أصحابه- رضي الله عنهم- فقد امتنَّ الله تعالى على حبيبه صلى الله عليه وسلم؛ فقال تعالى: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(٤).

قال الحافظ ابن حجر- رحمه الله- في شرح الحديث: قوله" الأرواح جنودٌ مُجنَّدة" قال الخطابي: يحتمل أن يكون إشارة إلى معنى التشاكل في الخير والشرِّ، والصلاح والفساد، وأنَّ الخَيِّرَ من الناس يَحِنُّ إلى شكله، والشرير- نظير ذلك- يميل إلى نظيره، فتعارُف الأرواح يقع بحسب الطباع التي جُبِلتْ عليها من خيرٍ وشرٍّ؛ فإذا اتَّفقتْ تعارفتْ، وإذا اختلفتْ تناكرتْ. ويحتمل أن يُراد الإخبار عن بدء الخَلْق في حال الغيب، على ما جاء أنَّ الأرواح خُلِقَتْ قبل الأجسام، وكانت تلتقي فتتشاءم فلمَّا حلَّتْ بالأجسام تعارفتْ بالأمر الأوَّل، فصار تعارُفُها وتناكُرُها على ما سبق من العهد المتقدِّم(٥).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١٧٨) برقم (٣٤٩٣) كتاب المناقب باب قول الله تعالى: {يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم} [الحجرات: ١٣]. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٩٥٨) برقم (٢٥٢٦) كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنه باب خيار الناس.

(٢) فتح الباري لابن حجر (٦/ ٥٢٩).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١٣٣) برقم (٣٣٣٦) كتاب أحاديث الأنبياء باب الأرواح جنود مجندة. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٣١) برقم (٢٦٣٨) كتاب البر والصلة والآداب باب الأرواح جنود مجندة.

(٤) الأنفال: ٦٣.

(٥) فتح الباري لابن حجر (٦/ ٣٦٩).



قال ابن الجوزي: ويُستفاد من هذا الحديث أنَّ الإنسان إذا وجد من نفسه نفرة ممَّن له فضيلة أو صلاح؛ فينبغي أن يبحث عن المقتضي لذلك؛ ليسعى في إزالته حتَّى يتخلَّص من الوصف المذموم، وكذلك القول في عكسه(١).

والألفة تحتاج إلى شيءٍ من الجهد والتضحية، والتنازُل عن بعض الحقوق، وعدم الاكتراث ببعض المواجهات، ولو كانتْ عنيفة أحيانًا بين الإخوان، وتاجُ ذلك كلِّه نيَّةٌ صالحةٌ، وقولٌ جميلٌ، فمثل هذا هو الذي يستطيع أن يتآلف مع الناس، أمَّا مَن يتمادح بقوة المجادَلة، والانتصار في النقاش، ويعدُّ التنازُلَ عن بعض الحقوق إهدارًا لكرامته، فهذا أبعد ما يكون مِن الألفة، وعليه أن يتأمَّل هذا الموقف النبوي الكريم الذي ينُمُّ عن حكمة النبي صلى الله عليه وسلم، وطيب نفسه، ومحبَّته لأصحابه جميعًا، وحرصه على تأليف قلوبهم؛ فعن عبد الله بن زيد بن عاصم قال:" لَمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ صلى الله عليه وسلم يَوْمَ حُنَيْنٍ قَسَمَ فِي النَّاسِ فِي الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ، وَلَمْ يُعْطِ الْأَنْصَارَ شَيْئًا، فَكَأَنَّهُمْ وَجَدُوا؛ إِذْ لَمْ يُصِبْهُمْ مَا أَصَابَ النَّاسَ، فَخَطَبَهُمْ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ؛ أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمْ اللَّهُ بِي، وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلَّفَكُمْ اللَّهُ بِي، وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمْ اللَّهُ بِي، كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ، قَالَ: مَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تُجِيبُوا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم؟ قَالَ: كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ، قَالَ: لَوْ شِئْتُمْ قُلْتُمْ: جِئْتَنَا كَذَا وَكَذَا، أَتَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ وَتَذْهَبُونَ بِالنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم إِلَى رِحَالِكُمْ؟ لَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنْ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا وَشِعْبًا؛ لَسَلَكْتُ وَادِيَ الْأَنْصَارِ وَشِعْبَهَا، الْأَنْصَارُ شِعَارٌ، وَالنَّاسُ دِثَارٌ، إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أُثْرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ". رواه البخاري(٢).

إنَّ تآلُفك مع أحبابك وانسجامك معهم؛ هو الطريقُ إلى الخيريَّة التي قال عنها النبي- صلى الله عليه وسلم-:" المؤمنُ يَألَفُ ويُؤلَفُ، ولا خيرَ فيمَن لا يألَفُ ولا يُؤلَفُ". رواه الطبراني(٣).

(١) نقله عنه الحافظ ابن حجر كما في فتح الباري (٦/ ٣٧٠).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٥/ ١٥٧) برقم (٤٣٣٠) كتاب أحاديث الأنبياء باب غزوة الطائف. ومسلم في صحيحه (٢/ ٧٣٨) برقم (١٠٦١) كتاب المغازي باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوي إيمانه.

(٣) رواه الطبراني في المعجم الأوسط (٦/ ٥٨) برقم (٥٧٨٧). والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٧٨٧). المعجم الأوسط، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين – القاهرة.

قال ابن القيم- رحمه الله- في زاد المعاد: أنَّ التناسُب والتنافُر بين الأرواح له حكمة مُعيَّنة عند الله تعالى في خلْقه وأمْره على وقوع التناسُب والتآلُف بين الأشباه، وانجذابِ الشيء إلى مُوافِقِه ومُجانِسِه بالطبعِ، وهُروبه من مُخالِفِه، ونُفرته عنه بالطبع، فَسِرُّ التمازُج والاتِّصال في العالم العُلوي والسُّفلي؛ إنَّما هو التناسُبُ والتشاكُلُ، والتوافُقُ، وسِرُّ التبايُن والانفصال؛ إنَّما هو بعدم التشاكُل والتناسُب، وعلى ذلك قام الخلْق والأمْر، فالمِثْلُ إلى مِثلِه مائلٌ، وإليه صائرٌ، والضِّدُّ عن ضده هارب، وعنه نافر(١).

وقد قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾(٢)، فجعل سُبحانه وتعالى الرجلَ يسكُنُ إلى امرأتِه لأنَّها مِن جنسه وجوهره، والسكون هنا معناه الحُبُّ لأنَّها منه.

وذلك يكون يومَ القيامة أيضًا، وليس فقط في الحياة الدنيا. قال تعالى: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ﴾(٣). قال عمر بن الخطاب- رضى الله عنه-: أزواجهم أشباهُهم ونُظراؤهم(٤).

وفي مسند أبي يعلى قصَّة في أول هذا الحديث عن عمرة بنت عبد الرحمن قالتْ: كانتْ امرأة مزَّاحة بمكَّة، فنزلتْ على امرأة مثلها في المدينة، فبلغ ذلك عائشة- رضي الله عنها- فقالت: صَدَقَ حِبِّي ، سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم.... فذكر مثله(٥).

والخلاصة: احذر- أخي- كلَّ الحذر أن تُقيم صُلْب الأُلفة على الحاجات الدنيوية الزائلة، فإنَّها سرعان ما تزول، أو تنهار فجأة، حينما تبرز الروحانِ على حدِّ المنافسة في أي شأنٍ، بعكس مَن تقاربتْ روحهما حتَّى التقتْ على محبَّة الرحمن، فإن ترَ كلَّ معاني الإخاء تتَّخذ مكانها من نفسيهما، فالحب، والإيثار، والنصرة، وصُنْع المعروف؛ ترَها ماثلةً في حياتهما، هذا التأليف الحقيقي بين القلوب.

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (٤/ ٢٤٧). زاد المعاد في هدي خير العباد، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون ، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م.

(٢) الأعراف: ١٨٩.

(٣) الصافات: ٢٢ – ٢٣.

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد (٤/ ٢٤٨).

(٥) ينظر: مسند أبي يعلى الموصلي (٧/ ٣٤٤) برقم (٤٣٨١). مسند أبي يعلى، المؤلف: أبو يعلى أحمد بن علي بن المثُنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (المتوفى: ٣٠٧هـ)، المحقق: حسين سليم أسد، الناشر: دار المأمون للتراث – دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ– ١٩٨٤م.



قال الإمام مالك- رحمه الله-: الناس أشكال كأجناس الطير، الحمام مع الحمام، والغراب مع الغراب، والبط مع البط، وكلُّ إنسانٍ مع شكله(١).

وتأمَّل قول بعضهم: إنَّ مِن الناس مَن إذا رآه المرء يُعجَب به، فإذا ازداد به علمًا ازداد به عجبًا، ومنهم مَن يَبغَضه حين يراه، ثم لا يزداد به علمًا إلَّا إذا ازداد له مقتًا، فاتِّفاقهما يكون باتِّفاق الروحين قديمًا، وافتراقهما يكون بافتراقهما، وإذا ائتلفا ثم افترقا فراق حياة من غير بُغْضٍ حادثٍ، أو فراق ممات، فهنالك الموت الفظيع، والأسف الوجيع، ولا يكون موقفٌ أطول غُمَّة، وأظهر حسرة، وأدوم كآبة، وأشدُّ تأسُّفًا، وأكثر تلهُّفًا، من موقف الفراق بين المتواخيين، وما ذاق طعمًا أمرَّ من فراق الخِلَّيْنِ، وانصرام القرينَيْنِ.

قال الشاعر:

فمَا تُبصِرُ العينانِ والقلبُ آلِفٌ وَلَا القلــبُ والعينــانُ مُنطبقــانِ
ولكنْ هما روحــــانِ تعرُضُ ذي لذي فيعرف هذا ذي فيلتقيانِ(٢)

---

(١) ينظر: روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص: ١٠٩). روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

(٢) ينظر: روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص: ١٠٨).



٢٨ شوَّال

إكرام أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم

الشريف في ذاته يفيض بالشرف على مَن حوله، والكريم في معدنه يسري كرمه في المحيطين به، انظر إلى زجاجة العطر كيف تبقى فوَّاحة بعد نفاد ما فيها، تطلَّع إلى جوار المصباح وكيف استحال هالة من نور، وسوارًا من ضياء، وكذلك البشر؛ تفيض بركة السعداء منهم وتتعدَّاهم إلى غيرهم، فكثيرٌ من سُلالة إبراهيم الخليل غَدَوْا أنبياء، وأصحاب عيسى صاروا حواريين، ورفاق محمد صلى الله عليه وسلم شرفوا بالصحبة، وأزواجه أمهات للمؤمنين، ونسْلُه استحقوا وصْف الشرف والسيادة، كيف لا وفيهم من دمائه دم، ومن روحه نبض، ومن نوره قبس، ومن شذاه عبق، ومن وجوده صلى الله عليه وسلم بقيَّة.

ولكرم النبي صلى الله عليه وسلم كُرِّمتْ ذُرِيَّته، ولشرفه شَرُفَ آلُ بيته، وكانت مودَّتُهم ومحبَّتُهم جُزءًا من شريعة المسلمين، رعوها على مرِّ الزمان كما رعوا باقي الشريعة، وأقاموها كما أقاموا بقيَّة أحكام الدين.

والمراد بأهل البيت في الاصطلاح الشرعيِّ هم: آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم، فيُقال: أهل البيت كما يُقال آل البيت، ويُقصَد بهما كما بيَّنَ ذلك ابن الجوزي- رحمه الله-: الأهل والقرابة المعتمَد فيهما على النَّسب، أو الاتِّباع بسببٍ ما[1]، كما ورد في قول الله تعالى: ﴿أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾[2].

وحقيقة استعمال لفظ آل البيت يدلُّ على آل البيت في السكن، ويدلُّ مجازًا على آل البيت في النسب، وأصحُّ الأقوال في المراد بآل البيت؛ أنَّهم أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وذُرِيَّته من نَسْل عبد المطلب؛ أي بنو هاشم بن عبد مناف؛ فعن عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال:" إنَّ الصَّدَقَةَ لا تَنْبَغِي لِآلِ مُحَمَّدٍ؛ إنَّما هي أَوْسَاخُ النَّاسِ، ادْعُوَا لي مَحْمِيَةَ- وَكانَ علَى الخُمُسِ- وَنَوْفَلَ بنَ الحَارِثِ بنِ عبدِ المطَّلِبِ، قالَ: فَجَاءَاهُ، فَقالَ لِمَحْمِيَةَ: أَنْكِحْ هذا الغُلَامَ ابْنَتَكَ، لِلْفَضْلِ بنِ عَبَّاسٍ، فأنْكَحَهُ، وَقالَ لِنَوْفَلِ بنِ الحَارِثِ: أَنْكِحْ هذا الغُلَامَ ابْنَتَكَ، لِي، فأنْكَحَنِي، وَقالَ لِمَحْمِيَةَ: أَصْدِقْ عنْهما مِنَ الخُمُسِ كَذَا وَكَذَا". رواه مسلم[3].

(١) ينظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين (٢/ ١٧١). كشف المشكل من حديث الصحيحين، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: علي حسين البواب، الناشر: دار الوطن – الرياض.

(٢) غافر: ٤٦.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٧٥٢) برقم (١٠٧٢) كتاب الزكاة باب ترك استعمال آل النبي على الصدقة.



ولقد وردت العديد من الآيات والأحاديث التي تُبيّن فضْل آل البيت منها:

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[١]، وما ورد في صيغة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم؛ إذ أرشد النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه- رضي الله عنهم- والمسلمين إلى صيغة الصلاة عليه. كما ثبت في الصحيح من قوله:" اللَّهُمَّ صَلِّ علَى مُحَمَّدٍ وعلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كما صَلَّيْتَ علَى إبْرَاهِيمَ وعلَى آلِ إبْرَاهِيمَ؛ إنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ علَى مُحَمَّدٍ وعلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كما بَارَكْتَ علَى إبْرَاهِيمَ وعلَى آلِ إبْرَاهِيمَ؛ إنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ". رواه البخاري[٢]، فقُرِنت الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بالصلاة على آله؛ لفضْلهم ومكانتهم وعظيم قدْرهم.

وممَّا رُوِي في فضل فاطمة- رضي الله عنها- قولُ أمِّ المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال:" يا فَاطِمَةُ؛ أَمَا تَرْضِيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ المؤْمِنِينَ، أَوْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ هذِه الأُمَّةِ؟ قالَتْ: فَضَحِكْتُ ضَحِكِي الذي رَأَيْتِ"[٣]، وفي الصحيحين أنَّ النبي- صلى الله عليه وسلم قال:" فاطمة بضعة منّي، مَن أغضبَها أغضبني"[٤]، وفي رواية في الصحيحين أيضًا:" فاطمة بضعة منّي، يريبني ما رابها، ويُؤذيني ما آذاها"[٥].

وروى البخاري أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي بن أبي طالب- رضي الله عنه-:" أنتَ منّي وأنا منك"[٦]، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم عن الحسن بن علي- رضي الله عنهما-:" إنَّ ابني هذا سيِّدٌ، ولعلَّ الله أن يُصلح به بين فئتين من المسلمين". رواه البخاري[٧].

---

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١٤٦) برقم (٣٣٧٠) كتاب أحاديث الأنبياء باب بدون ترجمة.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ٢٠٣) برقم (٣٦٢٤) كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٩٠٤) برقم (٢٤٥٠) كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم باب فضائل فاطمة بنت النبي عليها الصلاة والسلام.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٥/ ٢٩) برقم (٣٧٦٧) كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باب مناقب فاطمة عليها السلام.

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٧/ ٣٧) برقم (٥٢٣٠) كتاب النكاح باب ذب الرجل عن ابنته في الغيرة والإنصاف. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٩٠٢) برقم (٢٤٤٩) كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم باب فضائل فاطمة بنت النبي عليها الصلاة والسلام.

(٦) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ١٨٤) برقم (٢٦٩٩) كتاب الصلح باب كيف يكتب هذا: ما صالح فلان بن فلان، وفلان بن فلان، وإن لم ينسبه إلى قبيلته أو نسبه.

(٧) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ١٨٦) برقم (٢٧٠٤) كتاب الصلح باب قول النبي صلى الله عليه وسلم للحسن بن علي رضي الله عنهما.



وما ورد من الأحاديث في فَضْل الحسن والحسين؛ ابنَيْ عليّ بن أبي طالب- رضي الله عنهم جميعًا- كقول النبيّ صلى الله عليه وسلم:" الحسنُ والحُسَينُ سَيِّدا شبابِ أهلِ الجنَّةِ". رواه الترمذي(١).

قال العلَّامةِ ابن عثيمين- رحمه الله-: وأهلُ بيت الرسول صلى الله عليه وسلم ينقسمون إلى قسمين: قسم كفَّار، فهؤلاء ليسوا من أهل بيته وإن كانوا أقارب له في النسب، لكنَّهم ليسوا من أهل بيته؛ لأنَّ الله تعالى قال لنوح- عليه الصلاة والسلام- حين قال: ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى﴾(٢)، وكان ابنه كافرًا، قال له: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾(٣). فالكُفَّار من أقارب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسوا من أهل بيته، وإن كانوا أقارب له نسبًا. لكنَّ أهل بيته هم المؤمنون من قرابته صلى الله عليه وسلم، ومنهم أيضًا زوجاته، فإنَّ زوجاته- رضى الله عنهنَّ- من آل بيته، كما قال الله تعالى في سياق نساء أُمَّهات المؤمنين: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾(٤)، وهذا نصٌّ صريحٌ واضحٌ جدًّا بأنَّ زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم من آل بيته، خلافًا للرافضة الذين قالوا: إنَّ زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم ليسوا من أهل بيته، فزوجاتُه من أهل بيته بلا شكٍّ.

ولأهل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم المؤمنين حَقَّانِ: حقُّ الإيمان، وحقُّ القرابة من الرسول- صلى الله عليه وسلم-، وزوجات الرسول صلى الله عليه وسلم أُمَّهاتُ المؤمنين، كما قال تعالى في كتابه: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ﴾(٥)؛ فأزواج الرسول صلى الله عليه وسلم

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١٧/ ٣١) برقم (١٠٩٩٩). والترمذي في جامعه (٥/ ٦٥٦) برقم (٣٧٦٨) أبواب المناقب باب مناقب أبي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب والحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما. والنسائي في السنن الكبرى (٧/ ٣١٨) برقم (٨١١٣) كتاب المناقب، فضائل الحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب رضي الله عنهما وعن أبويهما. وابن ماجه في سننه (١/ ٤٤) برقم (١١٨) باب في فضائل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فضل علي بن أبي طالب رضي الله عنه. والحديث قال عنه الألباني: "حسن صحيح"كما في مشكاة المصابيح (٣/ ١٧٣٧).

(٢) هود: ٤٥.

(٣) هود: ٤٦.

(٤) الأحزاب: ٣٢، ٣٣.

(٥) الأحزاب: ٦.



أُمَّهات للمؤمنين، وهذا بالإجماع، فمن قال: إنَّ عائشة- رضي الله عنها- ليست أُمًّا لي؛ فهو ليس بمؤمن؛ لا مؤمن بالقرآن ولا بالرسول صلى الله عليه وسلم.

وحقوق آل البيت كثيرة، منها:

لم يرد أي خلاف عن العلماء فيما يتعلَّق بمودَّة آل البيت، ومحبَّتهم، بل ورد الاتِّفاق على ذلك؛ فمحبَّتهم فرعٌ من محبَّة النبي صلى الله عليه وسلم، كما أنَّه أوصى بهم خيرًا؛ فيجب على المسلم توقير آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم، وموالاتهم، ونصرتهم، وإكرامهم، والاقتداء بهم، والسير على خطاهم في الدين ما داموا مُتمسِّكين بالقرآن الكريم، والسُّنَّة النبوية.

كذلك يجب على المسلم الصلاة عليهم؛ فقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أنَّ الصلاة عليه متبوعةٌ بالصلاة عليهم، وذلك ما ورد في صحيح البخاري عن أبي حميد الساعدي- رضي الله عنه- أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم أرشد الصحابة إلى الصلاة عليه وعلى آله، بقول:" اللَّهُمَّ صَلِّ علَى مُحَمَّدٍ وأَزْوَاجِهِ وذُرِّيَّتِهِ، كما صَلَّيْتَ علَى آلِ إبْرَاهِيمَ، وبَارِكْ علَى مُحَمَّدٍ وأَزْوَاجِهِ وذُرِّيَّتِهِ، كما بَارَكْتَ علَى آلِ إبْرَاهِيمَ، إنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ"[١].

ولآل البيت حقٌّ ماليٌّ في بيت مال المسلمين؛ وذلك بإعطائهم من الغنيمة والفيء، قال تعالى عن حقِّهم في الغنيمة: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾[٢]، وقال عن حقِّهم في الفيء: ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾[٣].

ويجب على المسلم مُناصرة آل البيت، والبذْل والعطاء لهم، والدفاع عنهم، وذِكْر محاسنهم، وفضائلهم، ومُراعاتهم، وحُسْن مداراتهم، وتقديم النصيحة للمُسيء منهم، وأمْره بالمعروف، ونَهيه عن المنكر، والرحمة به، والشفقة عليه. وقد يكون بعض المسلمين قد قصَّر في هذا الجانب كما يُقصِّر بعض المسلمين في بعض واجباتهم؛ فتُكتَبُ عليهم ذنبًا من الذنوب وخطيئة من الخطايا، إلَّا أنَّ الطابع العام للأُمَّة هو معرفة قدْرهم، وبذْل المودَّة لهم ومحبَّتهم وموالاتهم، شهدت بذلك عقائدهم المدوَّنة،

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١٤٦) برقم (٣٣٦٩) كتاب أحاديث الأنبياء باب بدون ترجمة. ومسلم في صحيحه (١/ ٣٠٦) برقم (٤٠٧) كتاب الصلاة باب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد التشهد.

(٢) الأنفال: ٤١.

(٣) الحشر: ٧.



وتفاسيرهم المبسوطة، وشروحات السنن، وكُتُبُ الفقه. كيف لا؟! وهم وصيَّة نبيّنا محمد صلى الله عليه وسلم، هم وصيَّته وهم بقيَّته، إذ يقول:" أُذَكِّرِكم الله في أهل بيتي، أُذَكِّرِكم الله في أهل بيتي، أُذَكِّرِكم الله في أهل بيتي". رواه مسلم(١).

الخلاصة: الواجب علينا احترامُ وتوقير ومحبَّةُ آلِ بيتِ الرسولِ صلى الله عليه وسلم من قرابته المؤمنين، ومن زوجاته أُمَّهات المؤمنين، كلُّهم آلُ بيته ولهم حقوق.

يقول الإمام الشافعي في مدح أهل البيت:

يَا آلَ بيتِ رسولِ اللهِ حُبُّكُمُ ... فَرْضٌ مِنَ اللهِ فِي الْقُرْآنِ أَنْزَلَهُ

يَكْفِيكُمُ مِنْ عَظِيمِ الذِّكْرِ أَنَّكُمُ ... مَنْ لَمْ يُصَلِّ عَلَيْكُم لَا صَلَاةَ لَهُ(٢)

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٨٧٣) برقم (٢٤٠٨) كتاب كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم باب فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٢) ديوان الإمام الشافعي (ص: ٩٢). ديوان الإمام الشافعي، المؤلف : أبى عبد الله محمد بن ادريس الشافعى المتوفى عام ٢٠٤هـ.



٢٩ شوَّال

خصال النِّفاق (أعاذَنَا الله منها)

إنَّ أخطر مرضٍ يُبتلَى به المرء هو مرض النِّفاق، هذا المرض الذي يجعل القلب أسود مظلمًا، لا يُحِلُّ حلالًا، ولا يُحرِّم حرامًا، الدنيا همُّه، والمال غايته، يبذل المنافق قصارى جهده لتحصيل ما يفنى، ويصرف ملء الأرض ذهبًا لتحصيل ما يبلى، مرضٌ إنْ أصاب المرء جعله أجوف كالخيزران، الجثمان جثمان إنسان، والقلب قلب شيطان، إنْ تكلَّم فالشيطان يُلقِّنه، وما نظر إليه فالشيطان يُزيِّنه، وإن فكَّر فالشيطان يُمنِّيه، وإن سمع فالشيطان يستفزُّه، آثَر دنيا زائلة على نعيمٍ لا يبلى، له رأسٌ بوجهَينِ، وجسمٌ بقلبَينِ. هو للمسلمين من الخائنين، وللمؤمنين من المثبِّطين، شرُّه مستطير، وحِقدُه للإسلام ليس له نظير، إذا ضحِك للمسلِم فقلبُه يحترق، وإنْ خلا بإخوان الشياطين فوجهُه يبرق، يظنُّ أنَّ الهُدى هُدى الشيطان، وما يعلم المسكين أنَّ حياته ضياع وخسران.

قال الشيخ السعدي- رحمه الله-: واعلم أنَّ النفاق هو إظهار الخير وإبطان الشرِّ، ويدخل في هذا التعريفِ النفاقُ الاعتقاديُّ، والنفاقُ العمليُّ، كالذي ذكره النبي صلى الله عليه وسلم في قوله:" آيَةُ المنَافِقِ ثَلَاثٌ: إذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وإذَا وعَدَ أخْلَفَ، وإذَا اؤْتُمِنَ خَانَ ". رواه مسلم[١][٢].

وقد قسَّمه جمهور العلماء ومُحقِّقوهم قسمَينِ: نفاق أكبر، ونفاق أصغر، أو نفاق اعتقادي، ونفاق عملي، أمَّا النفاق الأكبر فهو المخرِج من الملَّة باتِّفاق أهل العلم، وهو كما قال ابن الإمام القيِّم- رحمه الله-: وأمَّا النفاق فالداء العُضال الباطن، الذي يكون الرجل مُمتلِئًا منه وهو لا يشعر، فإنَّه أمْرٌ خفيٌّ على الناس، وكثيرًا ما يَخفى على مَن تلبَّس به، فيزعم أنَّه مُصلِحٌ وهو مُفسد[٣]. فعن عبد الله بن عمرو بن العاص- رضي الله عنهما- أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" أربعٌ مَن كُنَّ فيه كان مُنافقًا خالِصًا، ومَن كانت فيه خَصلةٌ منهن؛ كانت فيه خصلة من النفاق حتَّى يَدَعَها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدَّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصَم فجر". متفق عليه[٤].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٦) برقم (٣٣) كتاب الإيمان باب علامة المنافق. ومسلم في صحيحه (١/ ٧٨) برقم (٥٩) كتاب الإيمان باب بيان خصال المنافق.

(٢) تفسير السعدي (ص: ٤٢).

(٣) مدارج السالكين (١/ ٣٥٤).

(٤) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٦) برقم (٣٤) كتاب الإيمان باب علامة المنافق. ومسلم في صحيحه (١/ ٧٨) برقم (٥٨) كتاب الإيمان باب بيان خصال المنافق.



قال سماحة العلَّامة الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله-: حديث عبد الله بن عمرو بن العاص- رضي الله عنهما- ففيه" أربعٌ مَن كُنَّ فيه كان مُنافقًا خالصًا، ومَن كان فيه خصلة منهنَّ كان فيه خصلة من النفاق حتَّى يَدَعَها". المراد به أنَّ هذه الأربع لا تجتمع إلَّا في المنافق الخالص، وإن كان المؤمن قد يحصل له واحدة منها، لكنَّه لا يكون منافقًا خالصًا، بل يكون فيه خصلة من نفاق حتَّى يَدَعَها، وهذه الأربع هي: إذا اؤتمن خان، وإذا حدَّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر، وهذه الخصال الأربع إذا اجتمعت في المرء كان مُنافقًا خالصًا؛ لأنَّه استوفى خصال النفاق، والعياذ بالله. وإذا كان فيه واحدة منهنَّ كان فيه خصلة من النفاق حتَّى يَدَعَها(١).

وفي هذا الحديث: دليلٌ على التحذير البليغ من هذه الصفات الأربع: الخيانة في الأمانة، والكذب في الحديث، والغدر بالعهد، والفجور في الخصومة.

وفيه أيضًا دليلٌ على أنَّ الإنسان قد تجتمع فيه خصال إيمان وخصال نفاق؛ لقوله صلى الله عليه وسلم:" كان فيه خصلة من النفاق" هذا مذهب أهل السُّنَّة والجماعة أنَّ الإنسان يكون فيه خصلة نفاق وخصلة إيمان، وخصلة فسوق وخصلة عدالة، وخصلة عداوة وخصلة ولاية، يعني أنَّ الإنسان ليس بالضرورة أن يكون كافرًا خالصًا أو مؤمنًا خالصًا، بل قد يكون فيه خصال من الكفر وهو مؤمنٌ، وخصال من الإيمان وهو كافرٌ.

وللمنافقين خصالٌ كثيرة، قد بيَّنها الله في كتابه، ونبيُّه صلى الله عليه وسلم في سُنَّته، وقد جعل الله هذه الخصال دليلًا على نِفاق المرء، فمَنِ اتَّصف بها كان مُنافقًا خالصًا، لا تنفعه شفاعةُ الشافعين، وفي نار جهنمَ من المخلَّدين، وصعوبة أمْر المنافق تكمُن في سريرته التَّي لا يعلمها إلَّا الله وحده لا شريك له، وقد أعلم نبيَّه صلى الله عليه وسلم ببعضهم، حيث قال: ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾(٢)؛ فلمَّا كان شرُّ المنافقين مُستطيرًا، فسنأتي على بعضِ صفاتهم، والتي منها:

يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾(٣).

---

(١) ينظر: شرح رياض الصالحين (٤/ ٤٨).

(٢) محمد: ٣٠.

(٣) البقرة: ٨-٩.



والإفساد في الأرض، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾[(١)].

والاستهزاء بالمؤمنين، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾[(٢)]. الحَلِفُ كذبًا سترًا لجرائمهم، قال تعالى: ﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[(٣)].

موالاة الكافرين ونُصرتهم على المؤمنين، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾[(٤)].

ترْك التحاكُم إلى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴾[(٥)].

الفَرَح بكلِّ مصيبةٍ تصيب المؤمنين، قال تعالى: ﴿ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴾[(٦)].

طعْنُهم في المؤمنين وتثبيطهم، قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾[(٧)].

---

(١) البقرة: ١١-١٢.

(٢) البقرة: ١٤.

(٣) المنافقون: ٢.

(٤) النساء: ١٣٧- ١٤٠.

(٥) النور: ٤٧-٤٩.

(٦) التوبة: ٥٠.

(٧) التوبة: ٥٨.

الأمرُ بالمنكر، والنهي عن المعروف، قال تعالى: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْۚ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[1]؛ فهم يأمرون بالإباحيَّة وينهون عن الحجاب، ويأمرون بالفجور وينهون عن التقوى، يأمرون بالرِّبا وينهون عمَّا أحلَّ الله من البيوع، يأمرون بالخمور وينهون عمَّا أحلَّ الله من الطِّيِّبات، فعليهم لعنةُ الله والملائكة والناس أجمعين.

التغرير بالمؤمنين، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ لَئِنْ أُخْرِجُواْ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾[2].

وصفات المنافقين كثيرة، غنيَّة لمن أراد النجاة من سبيل القوم، فهم قد جمعوا كلَّ بَليَّةٍ، وشربوا كُلَّ رذيلةٍ، وتحلَّوا بالمكر والخداع والغشّ.

وقد أحسن أبو العتاهية في قوله:

لَيْسَ دُنْيَا إِلَّا بِدِينٍ وَلَيْسَ الدِّ ... يــنُ إِلَّا مَكَــارِمَ الْأَخْــلَاقِ

إِنَّمَا المِكْــرُ وَالخَدِيعَةُ فِي النَّارِ ... هُمَا مِنْ خِصَالِ أَهْــلِ النِّفَاقِ[3]

---

(١) التوبة: ٦٧.

(٢) الحشر: ١١- ١٢.

(٣) ينظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٢٤/ ٣٣٤). التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، عام النشر: ١٣٨٧هـ.



٣٠ شوَّال

الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر

الدنيا مهما عظُم نعيمُها وطابت أيامُها، وزَهَت مساكنُها، فإنَّها للمؤمن بمنزلة السجن؛ لأنَّ المؤمن يتطلَّع إلى نعيمٍ أفضل وأكمل وأعلى، وأمَّا بالنسبة للكافر فإنَّها جنَّتُه؛ لأنَّه يُنعَّم فيها وينسى الآخرة. فعن أبي هريرة- رضي الله عنه- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ:" الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ". رواه مسلم(١).

فالمؤمن في الدنيا مُحاصَرٌ فيها، لا يستطيع أن يفعل كلَّ ما يُريد، ولا يقول كلَّ ما يشاء، وإنَّما هو مُقيَّدٌ بالأوامر والنواهي، والحلال والحرام، والخير والشرِّ. إذا أراد أن يفعل الشرَّ، أو يُمارس المنكَر، أو ينجرف وراء الشهوات والملذَّات؛ علم أنَّه في هذه الدنيا ليس طليقًا فيها، ولم يُسمَح له بأن يفعل ما يشاء وإنَّما هو مرهونٌ بأمْرِ الله، فلذلك عندما يعلم أنَّ هذا الأمر حرامٌ حرَّمه الله ونهى عنه؛ ينتهي عنه مباشرة، ويتركه لوجه الله.

أمَّا الكافر فإنَّه يرى نفسه حُرًّا طليقًا، لا حرام إلَّا ما حرَّمه هو على نفسه، ولا منهيًّا إلَّا ما ينتهي عنه هو، ولذلك فإنَّه يُمارس الشرور ويفعل المعاصي بكلِّ حُرِّيَّةٍ وطلاقة، دون أن يرى نفسه مُقيَّدًا بشيء اسمه حلال أو حرام، أو مباح أو محظور. يُعربِد، ويسكر، ويأكل الحرام، ويزني، ويكذب على الناس ويضحك عليهم، ويفعل كلَّ ما بدا له؛ لأنَّه لا يرى نفسه مُقيَّدًا من أحدٍ أو مُكلَّفًا منه، بخلاف المؤمن الذي يرى نفسه مسجونًا في هذه الدنيا بسجن الأوامر والنواهي والتكاليف الشرعية المشروعة والممنوعة.

والدنيا عند الله مُهانة، فلمَّا أهانها المؤمنُ أعزَّه الله، بأن صارت الدنيا في يديه لا في قلبه، كما قيل للإمام أحمد: أيكون الرجل زاهدًا وعنده مائة ألف دينار؟ قال: نعم، شريطة ألَّا يفرح إذا زادتْ، ولا يحزن إذا نقصتْ(٢). وما أخذوا منها إلَّا ما ينفعهم في آخرتهم، وتركوا ما يضرُّ دينَهم، فليس معنى الزهد في الدنيا ترْكها بالكليَّة، والانزواء في تكيَّة أو رباط، وليس معناه ترْك إعداد القوَّة، التي بها يرهب العدو، وإنَّما معناه ترْك ما يضرُّ في الآخرة.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٢٧٢) برقم (٢٩٥٦) كتاب الزهد والرقائق.

(٢) ينظر: مدارج السالكين (١/ ٤٦٣).



دنيا المؤمن مُوحِشة، فهي ليست دار قرار ولا سكون ولا استقرار، بل هي دار اختبار، فمَن صبر في ظلمة السجن واستعان بنور الإسلام، واستظلَّ بغيمة الإيمان، واستروح بحبِّ الله؛ هانتْ عليه جحافل الدنيا وزينتها، فهي لا تساوي عند الله جناح بعوضة، فطريق الجنة مُوحِشٌ تَحفُّه المكاره، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" حُفَّتِ الجَنَّةُ بالمَكارِهِ، وحُفَّتِ النَّارُ بالشَّهَواتِ". رواه مسلم[١].

والدنيا جنَّة الكافر؛ إذ إنَّ حاله يرتع ويلعب، ويسرح بالشهوات بلا ضوابط، ويمرح بلا اتِّعاظ، ويُؤسِّس أركان بيته مُتشبِّثًا بالدنيا، عاضًّا عليها بنواجذه، ويستقرُّ في جُعبتها يَخاف فُقدانها، ويظنُّ أنَّها خالدة، غافلٌ عن حقيقتها، فتلك الروح غير المؤمنة جنَّتها الوحيدة هي هذه الدنيا الموحِشة، وقد جعل الله لهم حقَّ التمتُّع في الدنيا من باب عدله، حتَّى إذا أتى يوم القيامة لا يكون لهم شيء؛ لأنَّهم نالوا ما تشتهيه أنفسهم في الدنيا.

وعندما ينتهي الأجل يأخذ الله أرواح أهل الكفر انتزاعًا؛ قال تعالى: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا﴾ [٢]، فحال موت الكفار أنَّ رُوحهم تُنتزَع انتزاعًا؛ لأنَّها لا ترغب في مغادرة الدنيا الغارقة في ملذَّاتها، ولأنَّها ظنَّت أنَّها مُستقرُّها ومُستودعها.

أمَّا الروح المؤمنة في سجن الجسد الدنيوي تستوحش من الدنيا؛ لأنَّها ليست مُستقرًّا لها، فالسجين من أُبعِدَ عن بيته الحقيقي، فالروح المؤمنة لا تأوي إلَّا بطاعة الله، وتصطبر على سكرات الدنيا، فالصراط المستقيم في الدنيا محفوفٌ بالمكاره كما حُفَّتِ الجنَّة، وتَخطِّي صراط الدنيا يُسهِّلُ على صاحبه تَخطِّي صراط يوم القيامة، فيسير بسرعة البرق وصولًا إلى جنَّة الخُلد مأواه الحقيقي بصحبة الفضلاء أهل الإيمان، وقد وصف الله موت المؤمنين قائلًا: ﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا﴾ [٣]؛ فالروح المؤمنة تنساب بسهولة من زنزانة الجسد الدنيوي، ولا تتشبَّث بقضبان الدنيا كالروح الكافرة الَّتي ظنَّتْ أنَّ الدنيا هي المأوى، فإنَّه إذا مات صار إلى العذاب الدائم وشقاء الأبد. قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-:" إنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً، يُعْطَى بها في الدُّنْيا ويُجْزَى بها في الآخِرَةِ، وأَمَّا الكافِرُ فيُطْعَمُ بحَسَناتِ ما عَمِلَ بها لِلَّهِ في الدُّنْيا، حتَّى إذا أَفْضَى إلى الآخِرَةِ؛ لَمْ تَكُنْ له حَسَنَةٌ يُجْزَى بها". رواه مسلم[٤]، فالدنيا سجن المؤمن، وجنَّته في الدنيا الإيمان، فهي الطريق للجنان الخالدة، ومسكن روحه الحقيقي، واستقراره وسلامه، أمَّا الكافر فجنَّته هي الدنيا، وسجنُه المستبِدُّ نارُ الخُلد يوم القيامة.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢١٧٤) برقم (٢٨٢٢) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٢) النازعات: ١.

(٣) النازعات:٢.

(٤) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢١٦٢) برقم (٢٨٠٨) كتاب صفة القيامة والجنة والنار باب جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة وتعجيل حسنات الكافر في الدنيا.



ويُذكَر عن ابن حجر العسقلاني- رحمه الله- صاحب كتاب "فتح الباري"؛ وكان قاضي قضاة مصر في وقته، كان يمرُّ بالسوق على العربة في موكب، فاستوقفه ذات يوم رجلٌ من اليهود، وقال له: إنَّ نبيَّكم يقول:" إنَّ الدنيا سجن المؤمن وجنَّة الكافر" وكيف ذلك وأنتَ في هذا الترف والاحتفاء! وهو- يعني نفسه اليهودي- في غاية ما يكون من الفقر والذُّلِّ، فكيف ذلك؟ فقال له ابن حجر: أنا وإن كنتُ كما ترى من الاحتفاء والخدم فهو بالنسبة لي بما يحصل للمؤمن من نعيم الجنَّة كالسجن، وأنتَ بما أنتَ فيه من هذا الفقر والذُّلِّ بالنسبة لما يلقاه الكافر في النَّار بمنزلة الجنَّة. فأعجب اليهوديَ هذا الكلامُ، وشهد شهادة الحق. وقال: أشهد أن لا إله إلَّا الله، وأشهد أنَّ محمدًا رسول الله(١).

ختامًا: هذا الحديث فيه تنبيهٌ ظاهرٌ لمن تأمَّل، وأحضر للنظر عقلًا سليمًا، أنَّ منزلة الدنيا عند المؤمن غير منزلتها عند الكافر، فالكافر غاية آماله، ومنتهى متاعه؛ إنَّما يكون في الدنيا، قال تعالى: ﴿ قَدْ يَئِسُواْ مِنَ ٱلْأَخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴾(٢)؛ لذا فهو يجتهد في بنائها وزخرفتها، يسعى في شهواتها لنيل أعظم ما فيها من الملذَّات، أمَّا المؤمن فإنَّ الله قد وعده خيرًا في الآخرة، وبيَّنَ له أنَّ إقباله على الدنيا فيه إضرارٌ بخير الآخرة؛ فلذا يعيش مُرتقِبًا حذِرًا، مُنتظِرًا لحظة النجاة والخروج من السجن، لا وقت لديه لأن يسعى في مباهج الحياة الدنيا. فهل نرى مثل هذا الفرق بين المسلمين والكافرين اليوم؟ إنَّ المسلمين يسعون في الدنيا كما يسعى الكُفَّار، لا نقول إنَّهم يسعون في اكتساب النافع، كلا، بل هم يسعون في شهوات الدنيا الضارَّة، كما يسعى فيها أولئك الهالكون؛ يبنون البيوت وهي غاية في الزخرفة والتزيين، تمامًا مثل أولئك، وفي مطعمهم، وملبسهم، وأشيائهم، هم غاية في الترف، وكان ينبغي لهم أن يترفَّعوا عن الترف، لأنَّه من أوصاف أهل النار:﴿ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴾(٣)، وملهاتهم ملهاة الكافرين نفسها؛ مهرجانات، وملاهي ألعاب، ومُسلِّيات، وأولمبياد.. إلخ. هذا ليس من السبيل، فلا بُدَّ للمسلم أن ينظر صفات الكافرين أهل النار في القرآن فيخالفهم فيها، فمِن صفاتهم أنَّهم يُحبُّون الدنيا، فمُخالفتهم كراهيتها.

---

(١) ينظر: فتاوى نور على الدرب للعثيمين (٦/ ٢).

(٢) الممتحنة: ١٣.

(٣) الواقعة: ٤٥.

يقول الإمام ابن القيم- رحمه الله-:

لَا يُلهينَّــكَ منــزِلٌ لعبــتْ بــه　　　أيدي البلا من ســالفِ الأزمانِ
فلقــدْ ترحَّــلَ عنــه كــلُّ مســرةٍ　　　وتبدَّلــتْ بالــهمِّ والأحــزانِ
سجنٌ يَضيقُ بصاحــبِ الإيمانِ　　　لَكِنَّ جنَّةَ المأوى لذي الكُفرانِ[1]

---

(١) الكافية الشافية (ص: ٩١٥).



المؤلف

الأستاذ الدكتور / خالد بن عبد الغفار آل عبد الرحمن

هو بروفيسور في طب الأسرة والتعليم الطبي، وكان العميد المؤسِّس لكلية الطب بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، والمشرف على الخدمات الطبية سابقًا. ويرأس حاليًا مجلس إدارة جمعية التطوُّع الصحية – أثر. وقد كان وكيلًا لجامعة الإمام للتخطيط والتطوير والجودة، ومستشارًا غير متفرغ لمعالي وزير التعليم السابق. وكان رئيسًا للجنة عمداء الطب بالجامعات السعودية. وله اهتمام كبير في العمل الصحي التطوُّعي؛ حيث تم تكريمه من معالي وزير الصحة بمناسبة اليوم العالمي للتطوُّع الموافق للخامس من شهر ديسمب ٢٠١٧ م. وهو أستاذ كرسي الدكتور الخولي لتطوير التعليم الطبي بالمملكة العربية السعودية. ورئيس تحرير ملحق مجلة المعلم الطبي الدولية. ورئيس تحرير مجلة جامعة الإمام للعلوم التطبيقية. ومؤسِّس الجمعية السعودية للدراسات الطبية الفقهية. وعضو المجلس الصحي السعودي سابقًا. وعضو مؤسِّس للجائزة الدولية للتميز في التعليم الطبي ومقرها بريطانيا. وقد شارك كمتحدِّث رئيس في أكثر من ٣٠٠ مؤتمر عالمي في مجال التعليم الطبي وطب الأسرة، ولديه أكثر من سبعين بحثًا محكمًا ومنشورًا في دوريات عالمية ومحلية. وهو المحرر الرئيس لكتاب روتليدج الدولي للتعليم الطبي ٢٠١٦- "The Routledge International Handbook of Medical Education" – الناشر: روتليدج الدولية للكتب، التابعة لمجموعة تيلور وفرانسيس – Taylor & Francis Group – العالمية المعروفة. وقد حصل البروفيسور آل عبد الرحمن على العديد من الجوائز وشهادات التقدير المحلية والعالمية، من آخرها جائزة التميُّز في التحرير من الجمعية الأوربية الدولية للتعليم الطبي في شهر سبتمبر ٢٠١٤م في المؤتمر الدولي للتعليم الطبي AMEE 2014 الذي عُقِد في مدينة ميلانو الإيطالية.




تم بحمد الله